

جوان شارب | Joanne P. Sharp*

ترجمة سجي طرمان | **Translated by Saja Torman

الجيوبوليتيكا في الهوامش؟

إعادة النظر في جينيات الجيوبوليتيكا النقدية***

Geopolitics at the Margins?

Reconsidering Genealogies of Critical Geopolitics

أصبحت الجيوبوليتيكا النقدية أحد أشد فروع الجغرافيا السياسية حيويةً. غير أنها لا تزال، إلى حد بعيد، تمثل نمطًا غربيًا في إنتاج المعرفة، ولم تول تقاليد التفكير الأخرى اهتمامًا يُذكر. تنخرط هذه الدراسة في تقليد الأفروعمومية، وبوجه خاص في رؤية جوليوس نيريري، مهندس دولة تنزانيا في مرحلة ما بعد الاستعمار، لاستكشاف هذا الإسهام الذي ظل مهملاً في المقاربات النقدية للجيوبوليتيكا. فقد سعت الأفروعمومية إلى بلورة عوالم بديلة لما بعد الاستعمار، في مواجهة الجيوبوليتيكا الثنائية للحرب الباردة والاقتصاد الجيوسياسي للاستعمار الجديد. وأدى تقسيم العمل الأكاديمي إلى إقصاء هذه الأفكار داخل حقل الدراسات الأفريقية، بدلاً من إدراجها في النقاشات الأوسع المتعلقة بتعريف المفاهيم الأساسية في التخصصات الأكاديمية. غير أنه يمكن النظر إلى التفكير القاري لدى نيريري بوصفه مخيالاً جيوسياسياً، يتحدى الإسقاطات المهيمنة للواقعية الجديدة، ولا يزال ينطوي على إسهام مهم يمكن أن يقدمه إلى الجغرافيا السياسية المعاصرة.

كلمات مفتاحية: الجيوبوليتيكا التابعة، الأفروعمومية، الجيوبوليتيكا النقدية، ما بعد الاستعمار.

Critical geopolitics has become one of the most vibrant parts of political geography. However it remains a particularly western way of knowing which has been much less attentive to other traditions of thinking. This paper engages with Pan-Africanism, and specifically the vision of the architect of post-colonial Tanzania, Julius Nyerere, to explore this overlooked contribution to critical engagements with geopolitics. Pan-Africanism sought to forge alternative post-colonial worlds to the binary geopolitics of the Cold War and the geopolitical economy of neo-colonialism. The academic division of labour has meant that these ideas have been consigned to African studies rather than being drawn into wider debates around the definitions of key disciplinary concepts. However Nyerere's continental thinking can be seen as a form of geopolitical imagination that challenges dominant neo-realist projections, and which still has much to offer contemporary political geography.

Keywords: Subaltern Geopolitics, Pan-Africanism, Critical Geopolitics, Postcolonialism.

* أستاذة، كلية العلوم الجغرافية وعلوم الأرض، جامعة غلاسكو.

Professor, School of Geographical and Earth Sciences, University of Glasgow.

** باحثة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

Researcher at the Arab Centre for Research and Policy Studies. Email: saja.torman@dohainstitute.edu.qa

*** هذا النص ترجمة لدراسة:

Joanne P. Sharp, "Geopolitics at the Margins? Reconsidering Genealogies of Critical Geopolitics," *Political Geography*, vol. 37 (2013), pp. 20-29, accessed on 31/8/2026, at: <https://acr.ps/hBy2sDD>

مقدمة

"نود، نحن شعب تنجانيقا⁽¹⁾، أن نوقد شمعة ونضعها على قمة جبل كيليمينجارو⁽²⁾، ليسطع نورها ويمتد في الأفق بعيداً خلف تخومنا، فتمنح الأمل حيث خيم اليأس، والمحبة حيث طغت الكراهية، والكرامة حيث لم يكن ثمة شيء سوى الإذلال والمهانة" (الرئيس جوليوس نيريري⁽³⁾ بمناسبة استقلال تنجانيقا، عام 1961).

باتت الجيوبوليتيكا النقدية Critical Geopolitics⁽⁴⁾ أحد أشد مجالات الجغرافيا السياسية حيويةً منذ أن قدّم غريويد أوتوهيل المفهوم أول مرة في أواخر ثمانينيات القرن العشرين. ومنذ الانشغال الأولي بصياغة العلاقات السياسية - الجغرافية العالمية ضمن المجالات الرسمية لإدارة الدولة، خضعت الجيوبوليتيكا النقدية لعدد من المراجعات؛ إذ إنها توسّعت لتتجاوز الانغلاق على ما تشغل به النخب، التي تدير الدولة، إلى تحليل الكيفية التي يجري بها ترسيخ السرديات الجيوسياسية المهيمنة في المجتمع الأوسع، وانتقلت من التركيز على بيانات النخب السياسية (من الذكور) إلى الاهتمام بتجارب السياسة النطاقية Scalar Politics⁽⁵⁾ التي تتجسد لدى طيف متنوع من الأفراد والجماهير.

وعلى الرغم من هذه التطورات، ومع أن ذلك لم يكن الهدف الأصلي⁽⁶⁾، ما تزال الجيوبوليتيكا النقدية تمثّل، إلى حدّ بعيد، نمطاً معرفياً ذا طابع غربي، لم يُولِ التقاليد الأخرى في التفكير في السياسة الدولية، ولا دور الدولة والمواطن، ضمن هذه السرديات، اهتماماً كافياً. ومن هذا المنطلق، أسعى إلى العودة إلى ستينيات القرن العشرين وسبعينياته، لاستحضار الخطابات والممارسات المرتبطة بالحركة الأفروعمومية⁽⁷⁾، والتي سعت إلى بلورة عوالم ما بعد استعمارية بديلة، في مواجهة الجيوسياسية الثنائية للحرب الباردة، وكذلك البنية الجيوسياسية - الاقتصادية للاستعمار الجديد. وهو ما أشرتُ إليه في أعمال سابقة بمفهوم "الجيوبوليتيكا التابعة" Subaltern Geopolitics⁽⁸⁾. وأناقش، على وجه التحديد، الرؤية الجيوبوليتيكية لمؤسس تنزانيا ما بعد الاستعمار، جوليوس نيريري Julius Nyerere، الذي، كما يشير ما اقتبسته في افتتاحية هذه الدراسة، قدّم تصوراً جيوسائياً قائماً على الأمل وإشراك الجميع، يعترف بالهشاشة المشتركة بين الشعوب بدلاً من السعي إلى إقصاء الاختلاف. لقد أسهمت الجيوسياسية المرتبطة بتقسيم العمل الأكاديمي، كما أوضحها كارل بليتس بحذاقة⁽⁹⁾، في حصر أفكار نيريري ضمن حقل الدراسات الأفريقية، بدلاً من إدماجها في النقاشات الأوسع المتعلقة بتعريف المفاهيم الأساسية في التخصص.

6 قُدِّمت الجيوبوليتيكا النقدية Critical Geopolitics في البداية بوصفها مفهوماً نقدياً على نحو غير قابل للاختزال، وكان يُراد لها أن تكون نقداً للمعرفة، لا شكلاً من أشكال المعرفة في حد ذاتها. غير أن شيوع هذا المصطلح في الآونة الأخيرة، وربما استخدامه أحياناً بصورة غير متفحصة أو غير نقدية، قد جعله، في كثير من الحالات، أقرب إلى حقل فرعي من الجغرافيا السياسية Political Geography.

7 تقوم فكرة الوحدة الأفريقية Pan-Africanism أو الأفروعمومية، كما نعتمدها اصطلاحاً في ترجمة هذا النص، على أن الشعوب المنحدرة من أصول أفريقية تجمعها مصالح مشتركة، وينبغي لها أن تتوحد. وقد اتخذت الوحدة الأفريقية، تاريخياً، في كثير من الأحيان شكل حركة سياسية أو ثقافية، كما ظهرت في صور واتجاهات متعددة. وفي أضيق تجلياتها السياسية، يتصور أنصارها قيام أمة أفريقية موحدة يستطيع أن يعيش فيها جميع أفراد الشتات الأفريقي. ويشير مصطلح الشتات الأفريقي إلى العملية التاريخية الممتدة التي تشتت من خلالها المنحدرون من أصول أفريقية بعيداً عن أوطان أسلافهم إلى مناطق مختلفة من العالم. أما معناها الأكثر عمومية، فتعبر الوحدة الأفريقية عن الشعور بأن الشعوب المنحدرة من أصول أفريقية تشترك في كثير من الروابط والسمات والمصالح، وأن هذا الاشتراك جدير بالاعتراف به، بل الاحتفاء به، ما جعلها تتخذ طابع حركة اجتماعية سياسية، تشمل طيفاً واسعاً من الأفكار والطموحات التحررية وتطبيقاتها، والرموز والسياقات المحلية والثقافية، لكن جوهرها قضية واقعية واحدة: التحرر والتنمية للشعوب التي تأثرت تأثيراً مشتركاً بتجربة غزو أفريقيا واستعمارها واستغلالها خلال بضعة قرون مضت، وما زالت قضاياها المعاصرة مشتركة بسبب تلك التجربة. فعروة الانتماء الأفروعمومي هي التجربة والأهداف المشتركة، بغض النظر عن أي ميراث ثقافي أو قومي معيّن. (المترجمة)

8 Joanne P. Sharp, "Subaltern Geopolitics: Introduction," *Geoforum*, vol. 42, no. 3 (2011), pp. 271-273; Joanne P. Sharp, "A Subaltern Critical Geopolitics of the 'War on Terror': Postcolonial Security in Tanzania," *Geoforum*, vol. 42, no. 3 (2011), pp. 297-305.

9 Carl E. Pletsch, "The Three Worlds, or the Division of Social Scientific Labor, circa 1950-1975," *Comparative Studies in Society and History*, vol. 23, no. 4 (1981), pp. 565-590.

- 1 تنجانيقا Tanganyika هو الاسم التاريخي لما نعرفه اليوم باسم تنزانيا، التي كانت تُعرف قبل نهاية الحرب العالمية الأولى باسم شرق أفريقيا الألمانية. خضعت للاندثار البريطاني بعد عام 1919 باسم إقليم تنجانيقا، إلى أن نالت الاستقلال عام 1961. وعام 1964، اتحد الإقليم مع زنجبار لتشكل دولة تنزانيا الحديثة، مع تمتع زنجبار بحكم ذاتي موشع. (المترجمة)
- 2 الجبل الأعلى ارتفاعاً في أفريقيا، يقع في شمال شرق تنزانيا قرب حدودها مع كينيا. (المترجمة)
- 3 جوليوس كامباراجي نيريري Julius Kamburage Nyerere (1919-1999)، أول رئيس حكم تنزانيا (1964-1985)، وهو أحد أبرز قادة حركات التحرر الوطني في أفريقيا. يُعرف بتصوره لنسخة أفريقية للاشتراكية، متجذرة في التقاليد الأفريقية، تسمى أوجاما Ujamaa. (المترجمة)
- 4 تتعدد المقابلات العربية لمصطلح Geopolitics، ومنها "الجيوسياسية" و"الجيوبوليتيكا" و"الجيوبوليتكس". ونعتمد في هذه الترجمة مصطلح "الجيوبوليتيكا" عند الإشارة إلى الحقل المعرفي وممارساته، ولا سيما "الجيوبوليتيكا النقدية" Critical Geopolitics، حفاظاً على حمولته الاستعمارية؛ في حين نستخدم نعت "الجيوسياسي" عندما يحيل السياق إلى التصور الكلاسيكي القائم على دراسة أثر الجغرافيا في سلوك الدولة الخارجي وصراعاها مع الدول الأخرى على المجال. ونعتمد هذا التمييز من أجل إبراز الاختلافات المفهومية التي يناقشها المقال، من دون افتراض وجود مقابلين متمايزين على هذا النحو في الأصل الإنكليزي.
- 5 تشير السياسة النطاقية، أو المتعددة النطاقات المكانية، إلى أن السياسة تجري عبر مجموعة متداخلة من النطاقات المكانية: محلية وحضرية وإقليمية/ جهوية ووطنية وعابرة للحدود وعالمية. ويكمن جوهر السياسة النطاقية في أن نطاق السياسة يُبنى/ يُنتج خطابياً، فالفاعلون السياسيون هم الذين يعرّفون ما إذا كانت قضية ما محلية أو وطنية أو عالمية ويعيدون تعريفها. (المترجمة)

وثيق الصلة بهذا المجال أيضًا، إذ إنه يؤكد أن "عملية نزاع الطابع الاستعماري عن حقل العلاقات الدولية لم تكن تبدأ"⁽¹⁵⁾. وعلى نحو أشد تحديدًا، يجادل جيمس تاينر بأن "جغرافياتنا، ولا سيما جغرافياتنا السياسية، لا تزال بعيدة إلى حد بعيد عن المنظرين والنظريات غير الأوروبية. وتعاني مؤلفاتنا حول القومية والهويات، على وجه الخصوص، قصورًا واضحًا في تناول القومية الأفريقية الجامعة/ الأفروعمومية Pan-African Nationalism وغيرها من حركات الشتات الأفريقي"⁽¹⁶⁾.

يرى ديفيد سلاتر⁽¹⁷⁾، مستندًا إلى تأكيد ديبش تشاكرابارتي⁽¹⁸⁾ ضرورة "أقلمة أوروبا" أو "إضفاء الطابع الإقليمي عليها" Provincialising Europe، أي إنه من الضروري تجاوز التصور الذي ينظر إلى العالم الثالث بوصفه فضاءً مفهوميًا فارغًا ينتظر أن يُملأ بالمعرفة الغربية، من جهة، وبوصفه فضاءً يعج بمقاومة الأساليب الغربية وبـ "المعرفة الأصلانية" Indigenous، من جهة أخرى. وينبغي النظر إلى باحثي العالم الثالث بوصفهم منظرين يمتلكون إسهامات نظرية قائمة بذاتها، وليسوا باحثين يقدمون تأملات أو قراءات للظروف المحلية فحسب⁽¹⁹⁾. وعلى الرغم من ادعائها النزعة الكونية، فقد اتجهت التصورات الغربية التقليدية، القائمة على نزعة كوزموبوليتية، إلى تهميش الأشكال الأخرى للروابط والعلاقات العابرة للحدود الوطنية. وفي سياق تطوير هذه الفكرة، يطرح ديفيد فيذرستون⁽²⁰⁾ مفهوم "الكوزموبوليتية التابعة" Subaltern Cosmopolitanism، التي تؤكد تعدد الجغرافيات التي تتشكل من خلالها أماط مختلفة

وأرى أن إسهام نيريري في التفكير الجيوسياسي يُعد ذا أهمية بالغة؛ إذ إن رؤيته القارئة تمثل شكلاً من أشكال الخيال الجيوسياسي الذي يتحدى التصورات النيو-واقعية Neorealist المهيمنة. وعلى الرغم من أن التفاؤل الذي ميّز ذروة حركة الوحدة الأفريقية قد تراجع في ظل برامج التكيف الهيكلي النيوليبرالية، لا تزال هذه الرؤى قادرة على تقديم إسهامات قيمة للجغرافيا السياسية المعاصرة.

أولاً: جينياالوجيات الجيوبوليتيكا النقدية

تتمثل دراسة الجيوبوليتيكا في دراسة الكيفية التي تُشكّل بها القوى المركزية والدول المهيمنة السياسة الدولية مكانيًا Spatialization⁽¹⁰⁾. في افتتاحية نُشرت في مجلة جيوبوليتيكس Geopolitics، عام 2010، يستشهد ماركوس باور بخلاصة بيتر بيرري حول حالة حقل الجغرافيا السياسية قبل ثلاثة وعشرين عامًا، مشيرًا إلى أن هذا التوصيف ما يزال صالحًا إلى حد بعيد لفهم واقع هذا التخصص الفرعي اليوم. فقد رأى بيرري أن "حقل الجغرافيا السياسية الأنكلو-أميريكي يطرح نسخة محدودة وفقيرة من التخصص ويسعى خلفها، متجاهلاً إلى حد بعيد الاهتمامات السياسية لأربعة أخماس البشرية"⁽¹¹⁾.

وعلى الرغم من النظرة العالمية التي تدّعيها الجغرافيا السياسية، فإنها لا تزال، من نواحٍ عديدة، خاضعة لما وصفته جيني روبنسون⁽¹²⁾ بـ "أشكال التنظير المحلية الضيقة". وبطبيعة الحال، توجد مساهمات مهمة في الجغرافيا السياسية صادرة من خارج الغرب⁽¹³⁾، إلا أن نقد فيليب داري⁽¹⁴⁾ للمفاهيم الأساسية في نظرية العلاقات الدولية يظل

15 ينظر:

Arlene B. Tickner, "Seeing IR Differently: Notes from the Third World," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 32, no. 2 (2003), pp. 295-324.

16 James A. Tyner, "Territoriality, Social Justice and Gendered Revolutions in the Speeches of Malcolm X," *Transactions of the Institute of British Geographers*, vol. 29 (2004), p. 343;

ينظر أيضًا:

Ruth Wilson Gilmore, "Forgotten Places and the Seeds of Grassroots Planning," in: Charles R. Hale (ed.), *Engaging Contradictions: Theory, Politics, and Methods of Activist Scholarship* (Berkeley: University of California Press, 2008), pp. 31-61.

17 David Slater, "Post-Colonial Questions for Global Times," *Review of International Political Economy*, vol. 5, no. 4 (1998), pp. 647-678.

18 Dipesh Chakrabarty, "Provincializing Europe: Postcoloniality and the Critique of History," *Cultural Studies*, vol. 6, no. 3 (1992), pp. 337-357.

19 ينظر:

Walter D. Mignolo, "The Geopolitics of Knowledge and the Colonial Difference," *The South Atlantic Quarterly*, vol. 101, no. 1 (2002), pp. 57-96; Pletsch, pp. 565-590.

20 David Featherstone, "The Spatial Politics of the Past Unbound: Transnational Networks and the Making of Political Identities," *Global Networks*, vol. 7, no. 4 (2007), p. 434.

10 Gearóid Ó Tuathail & John Agnew, "Geopolitics and Discourse: Practical Geopolitical Reasoning in American Foreign Policy," *Political Geography*, vol. 11, no. 2 (1992), p. 192.

11 Peter J. Perry, "Editorial Comment: Political Geography Quarterly: A Content (but Discontented) Review," *Political Geography Quarterly*, vol. 6, no. 1 (1987), p. 6; Marcus Power, "Geopolitics and 'Development': An Introduction," *Geopolitics*, vol. 15, no. 3 (2010), p. 433.

12 Jenny Robinson, "Postcolonialising Geography: Tactics and Pitfalls," *Singapore Journal of Tropical Geography*, vol. 24, no. 3 (2003), pp. 273-289.

13 ينظر على سبيل المثال:

James D. Sidaway & David Simon, "Geopolitical Transition and State Formation: The Changing Political Geographies of Angola, Mozambique and Namibia," *Journal of Southern African Studies*, vol. 19, no. 1 (1993), pp. 6-28; David Slater, *Geopolitics and the Post-Colonial: Rethinking North-South Relations* (Oxford: Blackwell, 2004).

14 Phillip Darby, "Pursuing the Political: A Postcolonial Rethinking of International Relations," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 33, no. 1 (2004), p. 6.

الواقع، القوة الدافعة وراءها. ويقدم منظور أيوب مجموعة مختلفة من المبادئ لفهم العلاقات الدولية؛ إذ يوضح أن "التوتر بين المنظور المهيمن والمنظور التابع للنظام الدولي يمكن تلخيصه على النحو الآتي: فبينما يركز الأول على النظام بين الدول والعدالة داخلها، يؤكد الثاني على النظام داخل الدول والعدالة فيما بينها"⁽²⁵⁾.

تُقرّ الواقعية التي يطرحها أيوب بالترابط الوثيق بين السياستين الدولية والداخلية، لكنها تؤكد أن الدولة، على الرغم من أهمية المستويات الأخرى للنشاط السياسي والهوية السياسية، تظلّ الفاعل الأبرز في السياسة العالمية، ومن ثمّ الهدف الذي تسعى مجتمعات العالم الثالث إلى ترسيخه. فهذه المجتمعات، في نهاية المطاف، دخلت مرحلة ما بعد الاستعمار بوصفها دولاً، مهما كانت حدودها مصطنعة أو اعتبارية، واضطرت إلى خوض نضال طويل من أجل الاستقلال. ومن هذا المنطلق، تمثل "الواقعية التابعة" نقداً للواقعية التقليدية التي لا ترى في مسار الأحداث العالمية سوى تجارب القوى الكبرى. وقد ذهب كينيث والتز، أحد أبرز منظري الواقعية، إلى القول إن "الدمارك لا أهمية لها". وتسهم هذه التصورات في تكريس التمرکز الغربي في نظرية العلاقات الدولية، لأنها تحجب السبل المتعددة التي تُصنّع من خلالها السياسة الدولية ويُعاد تشكيلها باستمرار. غير أن البديل لا يتمثل في الادعاء بأن الدمارك أو تنزانيا كتكتسبان أهمية في حد ذاتهما دائماً، بل في مساءلة الأسس الأنطولوجية التي يقوم عليها كثير من نظريات العلاقات الدولية والجيوبوليتيكا. وفي هذا السياق، يرى جون أغنيو أن نظرية العلاقات الدولية ظلت خاضعة لفهم أميركي وأوروبي للدولة والاقتصاد العالمي، ولذلك دعا إلى إلقاء جغرافيا المعرفة في السياسة الدولية اهتماماً أكبر. وفي هذا الصدد، يوضح أغنيو⁽²⁶⁾:

غير أن هذه الجغرافيات ليست غايةً في حد ذاتها؛ فالمقصود هو فهم الأسس الأنطولوجية للمعرفة من منظور لا يمنح الأفضلية لتاريخ معرفي واحد مرتبط بمنطقة معينة من العالم (وهو ما يمثل شكلاً نموذجياً من النسبية)، ولا يفترض تصورات للمعرفة تقوم، ضمناً أو صراحةً، على افتراض عالميتها البديهية (وهو ما يمثل شكلاً نموذجياً من الوضعية).

من الكوزموبوليتية، بما يتيح التركيز على الأشكال المتنوعة للهوية السياسية والفاعلية السياسية التي تتكون عبر هذه الأنماط المختلفة من الكوزموبوليتية". وعلى الرغم من أن عمله يركّز على "أنماط تدفق أشد تعقيداً وأقل انتظاماً"، فإن تصوّره ينطبق أيضاً على تحديات من قبيل الأفروعمومية، التي يرى أنها "تستحضر أنماطاً من النشاط السياسي تحدت الأشكال المهيمنة للعلم، لكنها في الوقت نفسه تجنّبت أو عارضت أو تجاوزت الأشكال المحلية المقيدة بحدود مكانية ضيقة"⁽²¹⁾. وتكمن أهمية استعادة هذه الشبكات البديلة للترابط العالمي في أنها تتيح مساءلة حتى أشد أشكال الكوزموبوليتية نقدية؛ ففي هذه التصورات، "تظلّ الـ 'نحن' المتميزة، التي تنصّب نفسها مضيفاً إلى الآخرين، هي الجهة التي توجّه الدعوة إلى تبني الوعي الليبرالي على مستوى كوكبي. وعندما تُطبع الكوزموبوليتية بطابع الكونية وتُقدّم بوصفها قيمة عالمية شاملة، فإنها تتحول هي ذاتها إلى 'خدعة الإله'"⁽²²⁾. إن التحدي يكمن في الاعتراف بالاختلاف من دون اختزاله في سمة غرائبية أو استثنائية.

شهدت نظرية العلاقات الدولية أيضاً نقاشات مماثلة، إذ وُصفت بأنها تعاني بالقدر نفسه صعوبة تجاوز حقل العلاقات الدولية الغربي، على حد تعبير بينار بيلغين⁽²³⁾. ومن بين تحديات الواقعية الكلاسيكية، يبرز مشروع محمد أيوب الرامي إلى تقديم "واقعية تابعة" Subaltern Realism، تسلط الضوء على مركزية سمة التبعية Subalterity في فهم العلاقات الدولية. وفي هذا السياق، يؤكد أيوب أن "التجربة المشتركة بين جميع المجتمعات البشرية هي ما يمثل السمة التي تشكل الغالبية العظمى من أعضاء أي نظام اجتماعي"⁽²⁴⁾. ولا شك في أن الغالبية العظمى من النزاعات العنيفة في مرحلة ما بعد الاستعمار قد وقعت داخل أراضي الدول التابعة، حتى في الحالات التي كانت فيها الدول المهيمنة منخرطة في تلك النزاعات أو كانت، في

21 Ibid., p. 435; David Featherstone, *Solidarity: Hidden Histories and Geographies of Internationalism* (London: Zed Books, 2012);

وينظر أيضاً: Slater, "Post-Colonial Questions for Global Times," pp. 647-678.

22 Tariq Jazeel, "Spatializing Difference beyond Cosmopolitanism: Rethinking Planetary Futures," *Theory, Culture & Society*, vol. 28, no. 5 (2011), p. 84.

23 Pinar Bilgin, "Thinking Past 'Western' IR?" *Third World Quarterly*, vol. 29, no. 1 (2008), pp. 5-23;

ينظر أيضاً:

Xavier Guillaume, "Unveiling the 'International': Process, Identity and Alterity," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 35, no. 3 (2007), pp. 741-759.

24 Mohammed Ayoob, "Inequality and Theorizing in International Relations: The Case for Subaltern Realism," *International Studies Review*, vol. 4, no. 3 (2002), pp. 40-41.

25 Mohammed Ayoob, "Making Sense of Global Tensions: Dominant and Subaltern Conceptions of Order and Justice in the International System," *International Studies*, vol. 47, no. 2-4 (2010), p. 129.

26 John Agnew, "Know-Where: Geographies of Knowledge of World Politics," *International Political Sociology*, vol. 1 (2007), p. 139.

خضم توجه الدراسات النقدية نحو استكشاف الفضاءات "البديلة" للفعل السياسي. وي طرح التأصيل ما بعد الاستعماري للجيوبوليتيكا التابعة تحدياً للمقاربات التي ترفض الدولة والسياسة الرسمية رفضاً مطلقاً؛ إذ يعترف بالأهمية المعيشية والمستمرة لهذه المستويات، وفي الوقت نفسه يبرز كونها بناءات اجتماعية ومكانية. ومن هذا المنطلق، يجسد هذا الطرح حساسية ما بعد استعمارية تتمحور حول مفهوم "الهجنة" Hybridity عند هومي بهابها⁽²⁹⁾، ولا سيما مفهوم "المحاكاة" Mimicry، الذي يتحدد من خلال الاستراتيجية والتقويض والبقاء. فالمحاكاة، وفق هذا الفهم، قد تمثل "أسلوباً لممارسة السياسة العالمية بطريقة 'تبدو متشابهة'، لكنها في الوقت نفسه 'مختلفة' على نحو غير متوقع"⁽³⁰⁾. ولا تعني المحاكاة أن "الآخر" يسعى إلى أن يصبح مطابقاً للذات المهيمنة، كما أنها لا تفترض وجود اختلاف جذري بينهما، بل تعمل على زعزعة هذه الثنائيات وتقويضها. وبهذا المعنى، ترسم المحاكاة مساراً مغايراً لـ "الجيوبوليتيكا المناهضة" Anti-geopolitics، التي "تمثل تأكيداً على الاستقلال الدائم عن الدولة، بغض النظر عن يتولى السلطة"⁽³¹⁾.

وهكذا، وعلى خلاف الجيوبوليتيكا المناهضة، فإن الجيوبوليتيكا التابعة لا تضع ذواتها السياسية خارج الدولة والمؤسسات المرتبطة بها. وهي تشترك مع "الجيوبوليتيكا التقدمية" Progressive Geopolitics في نزعتها "الطوباوية"⁽³²⁾، لكنها تسعى في الوقت نفسه إلى إبقاء المجال مفتوحاً أمام تعدد الأصوات في تحديد ماهية هذه الطوباويات وما يمكن أن تكون عليه⁽³³⁾. ويعكس هذا التوقع إدراكاً لإمكانية تشكل الهويات السياسية من خلال تمثيلات جغرافية لا تقع بصورة كاملة "داخل" الأطر القائمة أو "خارجها"⁽³⁴⁾. ومن ثم، فإنه يسعى إلى بلورة نموذج للذاتية السياسية يتحدى ذلك النموذج الذي كرسته الجيوبوليتيكا الغربية المهيمنة، من دون أن يستند إلى فكرة "الغيرية"

وبدلاً من ذلك، يؤكد أغنيو أن "المعرفة تُنتج في سياق تداولها وانتقالها؛ فهي لا تُنتج بصورة كاملة في مكان واحد ثم تُستهلك ببساطة في أماكن أخرى كما هي"⁽²⁷⁾.

ويقدم أيوب، مدرِّكاً هذه التوترات، من خلال مفهوم "الواقعية التابعة"، اقتراحاً يبدو متناقضاً في الوهلة الأولى؛ إذ يجمع بين موقع يتسم بالضعف البنيوي ومنظور مهيمن لرؤية العالم وتنظيمه وترتيبه. وهذه هي التوترات نفسها التي نسعى إلى استحضارها في مفهوم "الجيوبوليتيكا التابعة"، وليس الهدف الاستيلاء على مفهوم "التابع" Subaltern أو الادعاء، في بادئة نظرية كبرى، بتوفير حيز مفهومي جديد له، بل نعمل، من خلال الجمع بين مفهوم "التابع"، بوصفه حضوراً أقصي إلى المراتب الدنيا، و"الجيوبوليتيكا"، بوصفها شكلاً مهيماً من أشكال المعرفة سعى إلى التنظيم والضبط، على تقديم مفهوم يحمل في داخله التوترات والتناقضات نفسها التي انطوى عليها مفهوم "الجيوبوليتيكا النقدية"، وإن كانت هذه التوترات قد توارت عن الأنظار بفعل شيوع المصطلح وانتشاره⁽²⁸⁾. وتهدف الجيوبوليتيكا التابعة إلى إبراز مخيلة جغرافية معقدة ومتشعبة، تدرك أن الفكر الغربي كان دائماً - ولا بد من أن يظل - أشد تأثيراً بما يُقدّم بوصفه "الآخر" مما يُعترف به عادةً. وكما يكشف تاريخ التفاعل والتبادل بين المجتمعات، فإن فكرة وجود "آخر" ثابت وغير متغير ليست سوى بناءٍ متخيل. ومع ذلك، فقد جرى إسكات جانب كبير من أصوات "التابع" في الخطاب العالمي، حيث لا تحظى بالاهتمام إلا قضايا الدول الكبرى. ومن ثم، تمثل الجيوبوليتيكا التابعة محاولةً للكتابة في مواجهة منطق يسعى دائماً إلى إنتاج "العالمي" أو "الكوني" بوصفه حقيقةً شاملة؛ وذلك من خلال التساؤل عن الكيفية التي كان يمكن أن يبدو عليها العالم لو أقرنا بأن الدمارك مهمة بالفعل، بالعودة إلى المثال الشهير، وأن النساء مهمات، وأن دول عدم الانحياز كانت مهمة خلال الحرب الباردة، وأن التصورات المختلفة للأفروعمومية مهمة أيضاً. وبناء عليه، فإن هذا الطرح لا يدافع عن القيمة الذاتية لأي تصور أو مشروع يعينه، بل يؤكد الحاجة إلى جغرافيا سياسية منفتحة وقادرة على الإنصات إلى تعدد الأصوات والتفاعل معها.

وفي حين أن دراسة المقاومة السياسية ومناهضة ممارسات الدولة تُعدّ أمراً مهماً بلا شك، فإن من الضروري أيضاً الالتفات إلى الصراع المستمر حول دور الدولة، بحيث لا تُهمَل السياسة الرسمية تماماً في

29 Homi K. Bhabha, *The Location of Culture* (London: Routledge, 1994).

30 Bilgin, p. 6.

31 Paul Routledge, "Anti-Geopolitics: Introduction," in: Gearóid Ó Tuathail, Simon Dalby & Paul Routledge (eds.), *The Geopolitics Reader* (London: Routledge, 1998), p. 245. (التشديد في النص الأصلي)

32 Gerry Kearns, "Progressive Geopolitics," *Geography Compass*, vol. 2, no. 5 (2008), pp. 1599-1620.

33 Joanne P. Sharp, "Situating Progressive Geopolitics: Culture, Politics and Language," *Political Geography*, vol. 30, no. 1 (2011), pp. 51-52.

34 Bell Hooks, "Marginality as a Site of Resistance," in: Russell Ferguson, et al. (eds.), *Out There: Marginalization and Contemporary Cultures* (Cambridge, MA: MIT Press, 1990), pp. 341-343.

27 Ibid., pp. 138-148.

28 ينظر أيضاً:

Simon Dalby, "Recontextualising Violence, Power and Nature: The Next Twenty Years of Critical Geopolitics?" *Political Geography*, vol. 29, no. 5 (2010), pp. 280-288.

قادر نيريري تنجانيقا إلى الاستقلال عن بريطانيا عام 1961، ثم تأسست تنزانيا عام 1964، إثر الاتحاد مع زنجبار. وعلى الرغم من أن نيريري كان يُنظر إليه في البداية بوصفه قريباً من الغرب، ولا سيما بريطانيا، بسبب الطابع السلمي لحركة الاستقلال والمكانة الدولية التي حظي بها بوصفه رجل دولة، فإنه كان واضحاً في تأكيده أن تنزانيا ستجنب الانحياز إلى أي من معسكرَي الحرب الباردة. وكان من أبرز الداعين إلى الأفروعمومية وحركة عدم الانحياز. وعام 1967، أصدر الحزب الحاكم "إعلان أروشا" Arusha Declaration، الذي دعا إلى المساواة والاعتماد على الذات، وإحياء القيم الجماعية الأفريقية "التقليدية"، وترسيخ قيم التعليم والعمل الجاد. وبالتوازي مع تحذير فرانز فانون⁽⁴⁰⁾ من "مزالق الوعي القومي"⁽⁴¹⁾ في الدول الأفريقية المستقلة حديثاً، مثل الإعلان موقفاً مناهضاً للنخبة المحلية الصاعدة، المعروفة باسم الوابينزي Wabenzi⁽⁴²⁾. ونص على أن تمتلك الدولة وسائل الإنتاج، في حين يتمتع المواطنون بـ "حرية التعبير، وحرية التنقل، وحرية المعتقد الديني، وحرية تكوين الجمعيات". وعلى الرغم من أن الإعلان صيغ من أجل تنزانيا، فإنه اتسم بتوجه يتجاوز حدودها الوطنية؛ إذ أكد أن تنزانيا ستسعى إلى تحرير أفريقيا وتحقيق وحدتها. وقد حافظت البلاد على هذا الالتزام لاحقاً من خلال دورها بوصفها إحدى دول المواجهة الأمامية Front-Line States في النضال ضد نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا.

وقد وضع ذلك تنزانيا في طليعة مشروع الأفروعمومية، بوصفها نموذجاً يَعدُّ بحق، بنمط جديد لتنظيم المجتمع، ومنارةً استقطبت المفكرين والناشطين الراديكاليين من مختلف أنحاء العالم. كما أن تجاوز نيريري الحدود التي فرضها الاستعمار، وتوجّهه نحو مخيلة جيوبوليتيكية قارّة، منح أفريقيا إمكانية الحضور وإسعاد صوتها على الساحة العالمية الجديدة. وقد أشار عدد من الباحثين إلى المكانة التي اكتسبتها تنزانيا، ولا سيما بعد إعلان أروشا، في المخيلة الجيوبوليتيكية للوحدة الأفريقية؛ إذ حظيت بـ "جاذبية استثنائية لدى العالم الأسود. [...] فقد جسدت تنزانيا آمالهم وألهمت مخيلتهم بفضل التزامها الراسخ بكرامة الإنسان، بصرف النظر عن لون البشرة"⁽⁴³⁾. ووصفت الناشطة الأميركية

Otherness⁽³⁵⁾، ومن هنا، فإن استخدام مصطلح "التابع" يستند إلى معناه العسكري الأصلي بوصفه "رتبة أدنى"⁽³⁶⁾ A Lower Rank؛ فهو ليس القائد، لكنه في الوقت نفسه ليس خارج الصفوف. وهي قراءة نرى أنها تتقاطع مع طرح أيوب. ويقرّ هذا المنظور بالطبيعة المتشابكة للعلاقات السياسية العالمية، من دون أن ينكر "اختلال توازن علاقات القوة وإعادة إنتاج أنماط التمثيل المُخضعة للهيمنة"⁽³⁷⁾. وتُعدّ إعادة النظر في تجربة تنزانيا في مرحلة ما بعد الاستعمار مثلاً توضيحياً لهذا النمط من الجيوبوليتيكا التابعة.

ثانياً: تنزانيا ما بعد الاستعمار: "جميع البشر إخوتي، وأفريقيا واحدة"⁽³⁸⁾

بين أنقاض الحرب العالمية الثانية، نشأ نظام الحرب الباردة الثنائي القطبية، الذي هدد وجود البشرية. فقد شكّل الاستعداد الدائم لاستخدام الأسلحة النووية، إلى جانب النقاشات المحتدمة حول الفقر واللامساواة والحرية، تهديداً حتى لأولئك الذين لم يعيشوا تحت المظلتين الأميركية أو السوفياتية. [...] وبين هذين المعسكرين الرئيسيين، تجمعت أمم الجنوب الأشد سُفرةً فيما عُرف بالعالم الثالث. [...] ومن خلال الأمم المتحدة، برزت إلى الواجهة قضايا تتجاوز المساواة السياسية؛ إذ تضمّن مشروع العالم الثالث المطالبة بإعادة توزيع موارد العالم، وتحقيق عائد أكثر إنصافاً لقوة عمل شعوبه، والإقرار المشترك بالإرث الإنساني في مجالات العلم والتكنولوجيا والثقافة⁽³⁹⁾.

35 ينظر، على سبيل المثال، المساهمات الواردة في العدد الخاص من مجلة *Geoforum* حول الجيوبوليتيكا التابعة:

Christopher Harker, "Geopolitics and Family in Palestine," *Geoforum*, vol. 42, no. 3 (2011), pp. 306-315; Sara Koopman, "Alter-Geopolitics: Other Securities Are Happening," *Geoforum*, vol. 42, no. 3 (2011), pp. 274-284; Sharp, "Subaltern Geopolitics: Introduction," pp. 271-273; Sharp, "A Subaltern Critical Geopolitics of the 'War on Terror'," pp. 297-305; Ron Smith, "Graduated Incarceration: The Israeli Occupation in Subaltern Geopolitical Perspective," *Geoforum*, vol. 42, no. 3 (2011), pp. 316-328; Chih Yuan Woon, "Undoing Violence, Unbounding Precarity: Beyond the Frames of Terror in the Philippines," *Geoforum*, vol. 42, no. 3 (2011), pp. 285-296.

36 Peter Childs & R. J. Patrick Williams, *An Introduction to Post-Colonial Theory* (London: Prentice Hall/ Harvester Wheatsheaf, 1997), p. 333.

37 Joanne P. Sharp et al. (eds.), *Entanglements of Power: Geographies of Domination/Resistance* (London: Routledge, 2000); Slater, *Geopolitics and the Post-Colonial*, p. 194.

38 Binadamu wote ni ndugu zangu, na Afrika ni moja عبارة سواحلية تمثّل شعاراً سياسياً وفكرياً ارتبط بنيريري ومشروع تنزانيا ما بعد الاستعمار. (المترجمة)

39 Vijay Prashad, *The Darker Nations: A People's History of the Third World* (New York: The New Press, 2007), pp. xv-xvii.

40 Frantz Fanon, *The Wretched of the Earth*, Constance Farrington (trans.) (New York: Grove Press, 1963).

41 "مزالق الوعي القومي" The Pitfalls of National Consciousness هو عنوان فصل شهير في كتاب فرانز فانون *المُعذبون في الأرض* *The Wretched of the Earth* الصادر عام 1961. في هذا الفصل، يحذر فانون من أن حركات التحرر الوطني قد تنجح في طرد الاستعمار السياسي، لكنها قد تفشل في تحقيق تحرر حقيقي إذا استولت نخبة وطنية جديدة على السلطة وحلّت محل المستعمر من دون تغيير البنية الاقتصادية والاجتماعية الموروثة عنه. (المترجمة)

42 سُمّوا بهذا الاسم بسبب تفضيلهم سيارات مرسيدس بنز الفاخرة.

43 James N. Kariuki, *Tanzania's Human Revolution* (University Park, PA: The Pennsylvania State University Press, 1979), p. 200.

الإقليمية. ولعل رؤيته لأفريقيا موحدة تمثل أعظم إرثه السياسي. غير أن هذا الإرث لم يجد له مكاناً في حقل الجغرافيا السياسية.

ثالثاً: الجيوبوليتيكا الأفروعمومية عند نيريري

[...] يُبذل كل جهد ممكن لحشر الأحداث الأفريقية في إطار الحرب الباردة أو غيرها من صراعات القوى الكبرى. فالسؤال الرئيس دائماً يكون: "هل هذه الدولة الأفريقية أو تلك موالية للشرق أم للغرب؟". إن هذه الأسئلة [...] تنطوي على خطأ جوهرى عميق، بل على قدر غير مبرر من الخطر! فهي تفترض أن أفريقيا لا تمتلك أفكاراً أو مصالح خاصة بها. وتفترض أن الصراعات الدولية التي كانت قائمة عند نيلنا الاستقلال هي وحدها الصراعات الجديرة بالاعتبار. وهي تقوم على الاعتقاد أن مواقف الدول الأفريقية وسياساتها لا بد من أن تتحدد بالرجوع إلى التقليد الليبرالي الغربي أو إلى النظرية والممارسة الشيوعيتين⁽⁴⁷⁾.

انطوت رؤية نيريري الجيوبوليتيكية على إدراكٍ لحالة الهشاشة المشتركة التي عانتها الدول الجديدة في مرحلة ما بعد الاستعمار؛ إذ إنه رأى أن هذه الهشاشة كانت نتاجاً للنظام الجيوبوليتيكي العسكري الذي أفرزته الحرب الباردة، والنظام الرأسمالي الاستعماري الجديد المهيمن والمتلاعب. ومن هذا المنطلق، دعا إلى تضامن دول العالم الثالث، أو ما وصفه بـ "نقابة الفقراء العمالية" Trade Union of the Poor. وعلى الرغم من إدراكه الواضح أهمية القوة العسكرية في الشؤون الجيوسياسية، وتناوله بعض المفاهيم التقليدية في الخطاب الجيوسياسي، مثل القرب الجغرافي و"حقائق الجغرافيا والتاريخ"، فإنه كان حريصاً على التأكيد أن "الحقيقة الأساسية في هذا الوضع، والسبب الحقيقي لظروفنا العسكرية، يكمن في ضعفنا الاقتصادي". وبينما أسهمت القوة العسكرية الجيوسياسية في رسم معالم عالم الحرب الباردة وتقسيمه، أقر نيريري بأن "القوى الكبرى" قادرة على فرض إرادتها من دون اللجوء إلى القوة العسكرية أصلاً، إذ إنه يقول: "إن التهديد الحقيقي والملح لاستقلال معظم دول

أنجيلا ديفيس تنزانيا، خلال زيارتها للبلاد، بأنها "مصدر إلهام"⁽⁴⁴⁾، في حين ذهب سي. إل. آر. جيمس CLR James، إلى وصف إعلان أروشا بأنها "أرقى مراحل المقاومة التي بلغها السود الناثرون على الإطلاق".

شهدت تنزانيا في السنوات الأولى من مرحلة ما بعد الاستعمار تحسناً ملحوظاً في متوسط العمر المتوقع، ونجحت في تحقيق معدلات شبه شاملة لمحو الأمية، بعد أن كانت نسبة المتعلمين عند الاستقلال لا تتجاوز نحو 15 في المئة. غير أن هذه الإنجازات تحققت إلى حد بعيد بفضل المساعدات الخارجية. وباستثناء الأحداث التي سبقت اتحاد تنجانيقا وزنجبار عام 1964، والتي تمثل حالة خاصة تستحق الوقوف عندها⁽⁴⁵⁾، اتسمت تنزانيا ما بعد الاستعمار بقدر كبير من الاستقرار، ولم تشهد الصراعات القبلية التي سادت عدداً من دول المنطقة. وغادر نيريري والرؤساء الذين خلفوه مناصبهم عند انتهاء ولاياتهم الرئاسية، واستمروا، على نحو غير مألوف في سياق المنطقة، في العيش داخل البلاد. ولم تشهد تنزانيا أي حالات اغتيال لرؤساء الجمهوريّة.

غير أن السياسات الاقتصادية التي انتهجها نيريري كانت أقل نجاحاً. وقد أرجع عدد من الباحثين هذا الإخفاق إلى تداخل عاملين رئيسيين: فمن جهة، شهد الاقتصاد العالمي تحولات بنوية عميقة، ومن جهة أخرى، أخفقت تجربة الاشتراكية الجماعية. غير أن تقدير أهمية هذين العاملين يظل مرتبطاً بالموقف الأيديولوجي للباحث. وعلى الرغم من إرث هذا الإخفاق، فقد حظي نيريري - ولا يزال - بمكانة رفيعة في أفريقيا وفي مختلف أنحاء العالم. ويكاد اسمه يقترن دائماً بلقب "مواليمو" Mwalimu، وهي كلمة سواحلية تعني "المعلم"، وتحمل دلالات خاصة ترتبط بالحكمة والخبرة. ويرى كراوفورد يونغ أنه "على الرغم من أن رؤية نيريري لدولة اشتراكية شعبية أخفقت، بأيّ معيار كان، على مستوى السياسات العملية، فإن استقامة مواليمو الأخلاقية حافظت على صورته بوصفه قائداً كاريزمياً كرس نفسه لخدمة الصالح العام"⁽⁴⁶⁾. وبعد اعتزال العمل السياسي في تنزانيا، تولى نيريري رئاسة منظمة الوحدة الأفريقية Organisation of African Unity ولجنة الجنوب South Commission، وكان يُستعان به للتوسط في النزاعات

44 Ibid., p. 205.

45 ينظر، على سبيل المثال:

Godfrey Mwakikagile, *The Union of Tanganyika and Zanzibar: Product of the Cold War?* (Pretoria: New Africa Press, 2008); Issa G. Shivji, "What is Left of the Left Intellectual at 'the Hill'?" in: Issa G. Shivji (ed.), *Intellectuals at the Hill: Essays and Talks 1969-1993* (Dar es Salaam: Dar es Salaam University Press, 1993), pp. 200-219.

46 Crawford Young, "The End of the Post-Colonial State in Africa? Reflections on Changing African Political Dynamics," *African Affairs*, vol. 103, no. 410 (2004), p. 47.

47 Julius K. Nyerere, "Stability and Change in Africa (1969)," in: Julius K. Nyerere (ed.), *Man and Development* (Nairobi: Oxford University Press, 1974), p. 43.

بعدم الديمقراطية بسبب نظام الحزب الواحد في تنزانيا، بالإشارة إلى أن هوسهم ينصب على ديمقراطية الدول الأخرى، في حين يقبلون بالنظام الدولي بوصفه نظامًا يفتقر كليًا إلى الديمقراطية:

أما على المستوى العالمي، فلا توجد ديمقراطية دولية، ولا يوجد مركز واضح للسلطة تستطيع الشعوب الفقيرة أن توجه إليه احتجاجاتها. فعلى سبيل المثال، عندما ينخفض السعر العالمي للنحاس بنسبة 50 في المئة خلال أسبوع واحد، يهبط دخل زامبيا القومي بصورة حادة، ويحتاج عمالها، وربما بعنف، غير أنهم يصبون جام غضبهم على حكومة زامبيا، التي لا تملك أي سلطة في هذا الشأن. فما الذي يمكن العمال فعله غير ذلك؟ إنهم لا يستطيعون التأثير في قرارات ذلك الكيان الغامض المسمى "السوق" الدولية، على الرغم من أن ما خسرت زامبيا الفقيرة قد كسبته بعض الدول الغنية. وهكذا يظل فقراء زامبيا بلا نفوذ في هذه المسألة، كما أن حكومة زامبيا نفسها لا تملك أي نفوذ فيها. [...] إن الدول الغنية والقوية في العالم تدعو الدول الفقيرة إلى تبني الديمقراطية، بل قد تلجأ، عندما يخدم ذلك مصالحها، إلى فرض عقوبات على الدول التي تصنفها على أنها غير ديمقراطية أو منتهكة لحقوق الإنسان. غير أن هذه الدول نفسها، التي تنادي بالديمقراطية على المستوى الوطني، تكافح بلا هوادة ضد أي شكل من أشكال الديمقراطية على المستوى الدولي⁽⁵²⁾.

ويجسد مثال نيريري بصورة مثالية حجة أركيبوغي Archibugi، القائلة إن الديمقراطية على مستوى الدولة لا معنى لها إذا لم توجد، في عالم عالمي بحق؛ ديمقراطية تتجاوز حدود الدول⁽⁵³⁾. وعلاوة على ذلك، فإن الموقع الهامشي في النظام العالمي الذي انطلقت منه جيوبوليتيكا العالم الثالث التابعة أتاح لقادة العالم الثالث إدراكًا واضحًا للكيفية التي تعمل بها السلطة داخل هذا النظام. وعلى الرغم من أن طريق تنزانيا نحو الاستقلال اتسم باللاعنف، فإن نيريري لم ينبذ العنف (كما يتضح من التزامه بتوفير الملاذ لحركات التحرر المناهضة للاستعمار في أفريقيا الجنوبية التي استخدمت أساليب عنيفة). وكان يدرك تمام الإدراك حجم العنف الكامن في النظام العالمي الذي نشأت في إطاره تتجانيقا ثم تنزانيا:

عدم الانحياز لا يأتي من القوة العسكرية، بل من القوة الاقتصادية للدول الكبرى. فالفقر هو الخطر الأكبر الذي يترصد بنا⁽⁴⁸⁾.

تمثل طموح نيريري في تجاوز حالة الفقر هذه من خلال تنمية الاقتصادات الوطنية على نحو لا يعرضها لخطر الانجذاب إلى فلك إحدى القوى الكبرى أو الأخرى⁽⁴⁹⁾. وقد استند تأسيس حركة عدم الانحياز، كما استندت فلسفة نيريري للأفروعمومية، إلى تحدٍّ واضح للمبادئ الجيوسياسية الكلاسيكية القائمة على القوة العسكرية. ففي خطاب ألقاه عام 1970، صاغ تصورًا جيوبوليتيكيًا جنوبيًا - جنوبيًا قائمًا على عدم الانحياز، بوصفه بديلًا من "الكتل المتقابلة والمتصارعة" التي ميّزت الحرب الباردة. وفي معرض حديثه عن المؤتمر الأول لدول عدم الانحياز عام 1961، أوضح أن:

[...] انعقاد ذلك المؤتمر، وإعلان الدول الأعضاء فيه استقلالها عن أي من المعسكرين، كانا في حد ذاتهما فعلين سياسيين بالغَي الأهمية؛ فقد أعلنت تلك الدول أن رفضها التحالف مع أي من الطرفين لم يكن انحرافًا مؤقتًا تبنته قلّة من الدول، بل كان تطورًا دوليًا جديدًا ومهمًا لم يكن بوسع القوى الكبرى تجاهله. [...] ولم يدع أعضاء المؤتمر امتلاك جيوش كبيرة، كما أن اجتماعهم لم يحدث أي تغيير في "توازن القوى" العسكري. غير أن المؤتمر أعلن وجود حدود لممارسة تلك القوة العسكرية. فقد أوضح أعضاؤه أنهم لن يكونوا أطرافًا راغبة في صراع الحرب الباردة. ومن ثم، فإن اللعبة الخطرة القائمة على التهديد والتهديد المضاد، التي كانت تمارسها القوى الكبرى و"حلفاؤها" أو "الدول التي تدور في فلكتها" Satellites، لم تعد تشمل جميع دول العالم⁽⁵⁰⁾.

وتجسد جيوبوليتيكا نيريري التابعة، على نحو واضح، ما ذهب إليه أيوب⁽⁵¹⁾ بشأن الاختلافات بين الدول المهيمنة والدول التابعة؛ إذ نظر نيريري إلى النظام الدولي بوصفه غير خاضع للمساءلة، ولكن ليس أمام الجميع، بل أمام دول أفريقيا والجنوب على وجه الخصوص. وقد كشفت خطاباته أن قوة الغرب الجيوبوليتيكية تقوم على الهيمنة العسكرية والاقتصادية، وهما شكلان من أشكال العنف لم يتردد في تحديهما وانتقادهما. وكثيرًا ما كان يردّ على من اتهموه

48 Julius K. Nyerere, "Developing Tasks of Non-Alignment (1970)," in: Julius K. Nyerere, *Freedom, Non-Alignment and South-South Co-operation* (Oxford: Oxford University Press, 2011), p. 5.

49 Ibid., p. 6.

50 Ibid., p. 2.

51 Ayoob, "Making Sense of Global Tensions," pp. 129-141.

52 Julius K. Nyerere, "Are Universal Social Standards Possible?" *Development in Practice*, vol. 9, no. 5 (1999), pp. 585-586.

53 Joe Painter & Alex Jeffrey, *Political Geography: An Introduction to Space and Power* (London: SAGE, 2009), pp. 90-91.

الأفريقية الحديثة الاستقلال، مؤكداً أن "الأضعف بيننا لا يُنظر إليه إلا بوصفه بيدقاً في صراعات الحرب الباردة"⁽⁵⁶⁾. ومع ذلك، أدرك نيريري ما تنطوي عليه القومية من قدرة على توحيد القبائل والمجموعات الإثنية المتعددة داخل كل دولة أفريقية حديثة الاستقلال، بما يساعد على تجاوز الصراعات على السلطة والموارد، والتوجّه نحو تحقيق الوحدة.

وعند تناول دور الدولة التنزانية ومواطنيها، طرح نيريري تصوراً للقومية يقوم على توحيد سكان تنجانيقا، ثم تنزانيا لاحقاً، على الرغم من اختلافاتهم القبلية والدينية واللغوية والإثنية. وفي هذا السياق، يقول: "في تنزانيا، لم تكن أكثر من مئة جماعة قبلية هي التي فقدت حريتها، بل كانت أمة واحدة هي التي استعادت تلك الحرية"⁽⁵⁷⁾. ولم تكن هذه القومية من ذلك الطراز البرجوازي الأوروبي، بل كانت قومية تتطلع إلى ما يتجاوز حدود الدولة وتنتفح على محيطها:

لقد وجدنا أنفسنا على تماس مع حضارة بالغت في التأكيد على حرية الفرد، ولذلك نواجه إحدى القضايا الكبرى التي تواجه أفريقيا في العالم الحديث. وتتمثل مشكلتنا تحديداً في كيفية الاستفادة من مزايا المجتمع الأوروبي، وهي مزايا نشأت عن تنظيم اجتماعي يقوم على الفرد، مع الحفاظ في الوقت نفسه على البنية الاجتماعية الأفريقية، التي يكون فيها الفرد عضواً في جماعة تقوم على روح الرفقة والتضامن⁽⁵⁸⁾.

وهكذا، مثلت رؤية نيريري شكلاً من "الحدائثة البديلة" Alternative Modernity⁽⁵⁹⁾؛ إذ إنها استمدت عناصرها من مفاهيم تنتمي إلى المجتمع الأفريقي التقليدي، لا سيما فكرياً الاعتماد المتبادل والمجتمع اللاتقي، كما تجلّت في تصوره لـ "أوجاما" Ujamaa⁽⁶⁰⁾، إلى جانب استلهامها مفاهيم من الفكر الغربي الحديث. وعلى الرغم من أن رؤيته كانت تتجه نحو إقامة أفريقيا موحدة، فإنه استند إلى مفهوم القومية لتطوير اللبنة الأساسية للهوية؛ فبدأ أولاً بالهوية التنزانية، ثم

[...] إن السلام في حد ذاته لا يكفي للروح الإنسانية إذا كان يعني غياب الصراع العنيف فحسب؛ [...] فالسلام والعدالة الإنسانية مترابطان، وينبغي أن يظلا مترابطين [...] أما نحن الذين نتمتع بحرية تطوير أنفسنا وأمتنا، فلا يحق لنا أن نطالب المضطهدين وضحايا التمييز والجائعين والملاحقين بأن يذعنوا لأوضاعهم الراهنة. فإذا فعلنا ذلك، فإننا نصبح نحن أنفسنا مضطهدين وقاهرين لهم. إن السلام القائم في ظل استمرار مثل هذه الأوضاع الإنسانية ليس سلاماً آمناً ولا مبرراً⁽⁵⁴⁾.

لم يكن هذا التصور قائماً على عدم الانحياز بوصفه حياداً فحسب، بل رأى نيريري أنه "مثّل، أو ينبغي أن يمثّل، سياسات تقوم على الانخراط في الشؤون العالمية". وقد أدرك أن على القادة الأفارقة السعي إلى تحقيق ذلك كلما أمكن، وأن يتبنّوا نهجاً فاعلاً واستباقياً للحيلولة دون استغلال القوى الخارجية لحالة الضعف التي تعانيها بلدانهم:

إن الوحدة الأفريقية ضرورة للقارة بأسرها ولكل جزء منها. فقد ورثنا، على الصعيد السياسي، حدوداً إما غير واضحة المعالم، وإما قائمة على أسس إثنية وجغرافية تفتقر إلى المنطق، الأمر الذي يجعلها مصدراً خصباً للخلافات. وإذا تركزت هذه الخلافات لتتفاقم، فإنها ستؤدي إلى هدر الموارد الشحيحة في بناء الجيوش الوطنية⁽⁵⁵⁾.

ورأى نيريري أن السبيل إلى تحقيق ذلك يتمثل في توظيف النزعات القومية الأفريقية بوصفها لبنات أساسية في بناء أفريقيا موحدة. فقد كان ينظر إلى المجال الدولي باعتباره فضاء تحكمه الرأسمالية الاستعمارية الجديدة، حيث تهيمن القوة الاقتصادية والعسكرية. وقد رفض هذا المنطق وسعى إلى تغييره من خلال أشكال الترابط والتضامن التي يمكن أن تتيحها الأفروعمومية. ومع حصول البلدان الأفريقية تباعاً على استقلالها عن القوى الأوروبية، أدرك نيريري الخطر الكامن في ضعف كل دولة على حدة، وما قد يتيح ذلك من فرص لتدخل إحدى القوتين العظميين في الحرب الباردة أو كليهما. وقد عبّر عن مخاوفه مما أسماه "التدافع الثاني على أفريقيا" The Second Scramble، حيث يمكن القوى العظمى أن تستخدم نفوذها لإثارة الصراعات بين الدول

56 Julius K. Nyerere, "The Second Scramble (1963)," in: Nyerere (ed.), *Uhuru na Umoja*, p. 205.

57 Nyerere, "Stability and Change in Africa," p. 44.

58 Julius K. Nyerere, *The New York Times Magazine*, 27/3/1960;

مقتبس من:

"Julius Nyerere: Father of the Nation," *Articles and Transcripts News and Events*, 15/6/2005, accessed on 16/4/2013, at: <https://acr.ps/hBxNLDP>

59 ينظر:

Henrietta L. Moore & Todd Sanders (eds.), *Magical Interpretations, Material Realities: Modernity, Witchcraft and the Occult in Postcolonial Africa* (London: Routledge, 2001).

60 أوجاما مفهوم صاغه نيريري ويعني حرفياً "العائلية" أو "روح الأسرة"، ويشير إلى نموذج للاشتراكية الأفريقية يقوم على التضامن والاعتماد المتبادل والمساواة. (المترجمة)

54 Julius K. Nyerere, "A Peaceful New Year (1968)," in: *Man and Development*, pp. 1-2.

55 Julius K. Nyerere, "The Policies and Purposes of Pan-Africanism (1963)," in: Julius K. Nyerere (ed.), *Uhuru na Umoja (Freedom and Unity): A Selection from Writings and Speeches, 1952-65* (Dar es Salaam: Oxford University Press, 1967), p. 212.

ودعا نيريري إلى ضرورة أن "تفقد الحدود القائمة أهميتها"، وأن تصبح خطوطاً فاصلة بين وحدات إدارية داخل كيان أكبر فحسب⁽⁶⁵⁾. غير أنه كان يدرك أن تحقيق ذلك يزداد صعوبة يوماً بعد يوم، مع لجوء الدول الأفريقية إلى توظيف رموز القومية ومظاهرها في محاولاتها تجاوز التنافسات القبلية.

إن الحدود التي تفصل بين الدول الأفريقية تفتقر إلى المنطق إلى حد يجعلها، لولا شعورنا بالوحدة، تصبح سبباً للاحتكاك والنزاع. ومع ذلك، ليس أمامنا خيار سوى الانطلاق من الواقع الذي ورثناه عقب التقسيم الاستعماري لأفريقيا. فلا توجد دولة واحدة لا تضم مناطق كان يمكن أن تتبع وحدةً سياسية أخرى لو روعيت أي مبادئ للجغرافيا السياسية، كما أن كثيراً من القبائل تعيش موزعة بين دولتين على الأقل، أو تعود أصولها إلى مناطق أخرى من أفريقيا. ومع ذلك، فإن شرونا في تقديم بعضنا "مطالبات" بأراضي آخرين لن يكون إلا خدمة لأولئك الذين يرغبون في إبقاء أفريقيا ضعيفة، بما يعزز قوتهم النسبية في المستقبل. وقد يقودنا ذلك إلى مفارقة مأساوية عبثية، تتمثل في إنفاق الأموال على التسليح، بينما يموت أبنائنا بسبب غياب الرعاية الطبية أو يهلكون بسبب الجهل⁽⁶⁶⁾.

وكان نيريري يؤكد أن الهدف النهائي لا ينبغي "أن يقل عن إقامة الولايات المتحدة الأفريقية" United States of Africa. وقد بسط هذه الأفكار بمزيد من التفصيل في مقالته "سياسات الوحدة الأفريقية وأهدافها"، المنشورة عام 1963، حيث يقول:

لا توجد سوى طريقة واحدة يمكن أفريقيا من خلالها أن تبقى بمنأى عن الصراعات العالمية التي لا تعنيها، وأن تأمل في مواجهة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية الخائفة التي تثقل كاهل شعوبها اليوم. ينبغي أن تفقد الحدود القائمة أهميتها، وتصبح خطوطاً فاصلة بين مناطق إدارية داخل كيان أكبر فحسب. وهذا أمر عاجل وصعب؛ ويزداد صعوبة يوماً بعد يوم، مع سعي الدول الوطنية القائمة إلى محاربة القبلية من خلال بناء القومية. غير أنه لا يزال هناك، في الوقت الراهن، ما يمكن اعتباره نعمَةً منقذة تتمثل في وحدة وجدانية وُلدت خلال نضال الاستقلال، وفي اعتراف عام بضرورة تطويرها سياسياً واقتصادياً⁽⁶⁷⁾.

الهوية الشرق أفريقية. وقد أدرك التحديات التي واجهت بناء الدولة في مرحلة ما بعد الاستعمار، ولا سيما ضرورة تجاوز الانقسامات القبلية والدينية والإثنية التي تجاهلتها عملية التقسيم الإقليمي التي فرضها الاستعمار. ومن ثم، فمع إمكانية الاستفادة من مفهوم بندكت أندرسون حول "الجماعات المتخيلة" Imagined Communities⁽⁶¹⁾ لفهم عملية بناء الدولة التنزانية، فإن هذه العملية كانت تتجه إلى بناء مجتمع منفتح على الخارج، ولم تكن قائمة على تعريف الهوية التنزانية انطلاقاً مما هو خارجها أو مختلف عنها. وقد عمل نيريري بنشاط على تعزيز اللغة السواحلية بوصفها اللغة الوطنية (والإقليمية)، لأنها كانت "لغة واسعة الانتشار ومتزايدة الشعبية، لا ترتبط بأي جماعة قبلية بعينها ولا بالقوة الاستعمارية، وهو ما جعلها رصيذاً مهماً للحركة القومية"⁽⁶²⁾. وكما ذهب بارثا تشاترجي⁽⁶³⁾ في تحليله للهند ما بعد الاستعمار، فقد جسدت القومية التنزانية هذا التناقض، إذ أفرزت "خطاباً" في الوقت الذي تحدى فيه الادعاء الاستعماري بالهيمنة السياسية [...] قبل أيضاً بمرتكزات 'الحداثة' الفكرية نفسها التي قامت عليها الهيمنة الاستعمارية". ومن ثم، كان من المقرر تعبئة فضاءات أوجاما الداخلية من خلال الفضاءات العامة "الحديثة" للحكم والتعبير الوطني.

على الرغم من أن نيريري دعا إلى تبني القومية في أفريقيا بوصفها مرحلة أولى (على خلاف كوامي نكروما Kwame Nkrumah، قائد استقلال غانا، الذي كان يدعو إلى الانتقال مباشرةً من الاستعمار إلى الوحدة الأفريقية)، فإن مشروع بناء الدولة كان يستهدف، في نهاية المطاف، تجاوز الانقسامات القبلية والإثنية التي توقع نيريري أن تمزق أفريقيا بعد الاستقلال. وكان يرى أن القومية الأفريقية، إذا اتخذت مسارها التقليدي، ستقع في قبضة قوى الاستعمار الجديد. ولذلك، كان يؤكد أن القومية الأفريقية ينبغي أن تكون مختلفة:

كما قلت من قبل، إن دور القومية الأفريقية يختلف - أو ينبغي أن يختلف - عن القومية في الماضي. فعلينا أن نجعل من الدول الوطنية الأفريقية أداة لإعادة توحيد أفريقيا. فالقومية الأفريقية لا معنى لها، وتغدو متجاوزةً لزمانها، بل خطرة أيضاً، إذا لم تكن، في الوقت نفسه، جزءاً من مشروع الأفروعمومية⁽⁶⁴⁾.

61 Benedict Anderson, *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism* (London: Verso, 1983).

62 Graham Mytton, *Mass Communication in Africa* (London: Edward Arnold, 1983), p. 114.

63 Partha Chatterjee, *Nationalist Thought and the Colonial World: A Derivative Discourse?* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1986).

64 Julius K. Nyerere, "A United States of Africa (1963)," in: *Uhuru na Umoja (Freedom and Unity): A Selection from Writings and Speeches, 1952-65*, p. 194.

65 Nyerere, "The Policies and Purposes of Pan-Africanism," p. 212.

66 Nyerere, "A United States of Africa," p. 189.

67 Nyerere, "The Policies and Purposes of Pan-Africanism," pp. 212-213.

رابعًا: ممارسة الجيوبوليتيكا التابعة

تجسدت تصورات نيريري بشأن المسؤولية تجاه الآخرين في خطابه الجيوبوليتيكي وممارساته على مستويات متعددة، بما عزز تصويره للروابط التي تجمع بين مسؤولية الفرد ومسؤولية الدولة من جهة، والروابط السياسية والأخلاقية الأوسع التي كانت تنزانيا منخرطة فيها، من جهة أخرى. وعلى المستوى القاري، تمثلت هذه المسؤولية في التزام تنزانيا تجاه بقية الشعوب الأفريقية. ومن المعروف أن نيريري عرض تأجيل استقلال تنجانيقا إلى حين حصول كينيا وأوغندا على **الأوهورو Uhuru** (أي الحرية)، لأنه كان يرى أن حرية بلاده ستكون بلا معنى ما دامت شعوب شرق أفريقيا الأخرى لا تزال ترزح تحت الاستعمار. وسارع إلى دعم الحركات التي كانت تناضل ضد نظام الفصل العنصري وحكم الأقلية البيضاء في أفريقيا الجنوبية. وبعد إعلان روديسيا استقلالها من جانب واحد في تشرين الثاني/نوفمبر 1965، أوصت منظمة الوحدة الأفريقية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا إذا امتنعت عن إسقاط النظام غير الشرعي بقيادة إيان سميث. وبوصفها، ربما، أهم دولة من دول المواجهة الأمامية في النضال ضد العنصرية والفصل العنصري في أفريقيا الجنوبية، سارعت تنزانيا إلى تنفيذ هذه التوصية، على الرغم من أن ذلك كلفها خسارة قرض من دون فوائد بقيمة 22 مليون دولار كانت قد تفاوضت عليه مع بريطانيا، لكنه لم يكن قد وُقِّع بعد. وفي هذا السياق، "أقر نيريري بأن تجميد هذا القرض أخلّ بتوازن الخطة التنموية الخمسية الأولى لتنزانيا، لكنه أكد، في المقابل، أن بعض المبادئ أهم من المكاسب الاقتصادية القصيرة الأجل"⁽⁶⁸⁾. إضافة إلى ذلك، كان التزامه بمواجهة نظام عيدي أمين في أوغندا أحد العوامل الرئيسة التي أسهمت في تفاقم الأزمة الاقتصادية التي شهدتها تنزانيا في أوائل ثمانينيات القرن العشرين، وهو ما اضطرها إلى اللجوء إلى صندوق النقد الدولي وقبول شروط برامج التكيف الهيكلي.

وفي الوقت نفسه، فإن اهتمام نيريري بطبيعة القومية جعل نموذج الجيوبوليتيكي مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بأجساد المواطنين التنزانيين وهوياتهم. وكان إدراكه للآثار المتجسدة للاستعمار، وإيمانه بضرورة الرفض الحاسم لهذا النظام، يتردد صداه مع أفكار فانون⁽⁶⁹⁾، وهو ما يتجلى في تأمله البدايات الأولى لاستقلال الدول الأفريقية: "عندما أُطلق سراح كوامي نكروما من السجن، أحدث ذلك تحولًا هائلًا.

كنتُ آنذاك في بريطانيا، وكان ذلك واضحًا في الغانين؛ فقد أصبحوا بشراً مختلفين، مختلفين عنّا جميعًا"⁽⁷⁰⁾.

انطلقت الجيوبوليتيكا التابعة عند نيريري من الاعتراف بالحقائق الأنطولوجية التي تفرضها بعض البنى السياسية ومستوياتها، مثل حدود الدول الأفريقية الجديدة وآثار الاقتصاد الدولي، لكنها لم تنظر إلى هذه الحدود بوصفها طبيعية أو حتمية أو مغلقة. فالأمن، في نظره، لا يتحقق من خلال ترسيم الحدود واحتواء مصادر التهديد، بل من خلال التطلع إلى الخارج، والانطلاق من إدراك الظروف المشتركة وحالة الهشاشة التي يفرضها هذا النظام. وتبرز هنا جيوبوليتيكا ذات طابع أخلاقي واضح (وهي استراتيجية للقوة يرى لارسن⁽⁷¹⁾ أن الدول الصغيرة كثيرًا ما تلجأ إليها). وفي هذا الإطار، كان نيريري يدرك تمام الإدراك حدود القوة التي تتيحها له الدولة. ولذلك، فإن ممارسته للسيادة كانت تستند باستمرار إلى استدعاء القوة الأخلاقية، بدلًا من القوة الاقتصادية أو العسكرية، سعيًا لممارسة نفوذ على المستوى العالمي. وترتبط ممارسة السيادة Performance of Sovereignty هذه بالمثل المعيارية للدولة أكثر من ارتباطها بوصف الدولة كما هي؛ فهي "نسبية وتفاوضية - استراتيجية وسيرورة - وليست جوهرية أو مطلقة"⁽⁷²⁾.

وهكذا، استبقت رؤية نيريري الجيوبوليتيكية بشأن الأفرعمومية ما ذهبت إليه جوديث بتلر لاحقًا من ضرورة إعادة تصور "إمكان قيام جماعة سياسية على أساس الانكشاف Vulnerability والفقد"⁽⁷³⁾. وعلى خلاف الكوزموبوليتية الغربية ذات النزعة الكونية، أو ذات الطابع الذكوري، التي "تتبنى الأطر المعيارية للمدالات الديمقراطية الليبرالية، وللذات العاقلة القادرة على الاختيار والتأمل الذاتي، ترى بتلر أن الذات تُعاد صياغتها باستمرار من خلال عمليات جدلية من الاعتراف، داخل شبكات متعددة من علاقات القوة"⁽⁷⁴⁾. وقد جسد تصور نيريري ما بعد الاستعماري هذه العلائقية Relationality ودَوَّتها عبر الحدود المتخيلة والمادية للدولة الوطنية. فقد أدرك

70 Ikaweba Bunting, "The Heart of Africa: Interview with Julius Nyerere on Anti-Colonialism," *New Internationalist*, no. 309 (January-February 1999).

71 Henrik Gutzon Larsen, "Small-State Geopolitics," in: Sami Moiso et al., "Interventions in Nordic Political Geographies," *Political Geography*, vol. 30, no. 5 (2011), pp. 241-249.

72 Philip E. Steinberg & Thomas E. Chapman, "Key West's Conch Republic: Building Sovereignities of Connection," *Political Geography*, vol. 28, no. 5 (2009), p. 284.

73 Judith Butler, *Precarious Life: The Powers of Mourning and Violence* (London: Verso, 2004); Chakrabarty.

74 Katharyne Mitchell, "Geographies of Identity: The Intimate Cosmopolitan," *Progress in Human Geography*, vol. 31, no. 5 (2007), pp. 706-720.

68 Karioki, p. 193.

69 Frantz Fanon, *Black Skin, White Masks*, Charles Lam Markmann (trans.) (London: Pluto Press, 1986).

تناولتها دراسات أخرى⁽⁷⁸⁾. ومع ذلك، من المهم عدم إضفاء طابع رومانسي على دوره. فقد كان، إلى جانب حزب الاتحاد الوطني الأفريقي التنزاني Tanganyika African National Union, TANU، الذي أصبح لاحقاً حزب الثورة Chama Cha Mapinduzi, CCM⁽⁷⁹⁾، يسعى إلى بناء الاشتراكية على وجه السرعة⁽⁸⁰⁾، إذ لم يكن يرى أن لديه متسعاً من الوقت للمرور بالمراحل التي وصفها الماركسيون وناقشوها، وهو ما يعكسه بوضوح عنوان أحد كتبه، *علينا أن نركض بينما هم يمشون We Must Run While They Walk*. وقد شهدت تلك المرحلة ممارسات سلطوية، من بينها الإصرار على ضرورة قيام نظام الحزب الواحد (مع أن المقاعد الانتخابية كانت تخضع دائماً للتنافس)، وسياسات إضفاء الطابع الجماعي على الزراعة Agricultural Collectivisation التي أدت إلى النقل القسري لنسبة كبيرة من سكان الريف في أواخر سبعينيات القرن العشرين⁽⁸¹⁾، فضلاً عن ممارسات أخرى اتسمت باستخدام أساليب صارمة لضمان تنفيذ رؤية القيادة. وكان نيريري يسعى جاهداً إلى تكوين اشتراكيين أفارقة من مجتمع يتألف في معظمه من فلاحين غير متعلمين، ليحملوا رؤيته لأفريقيا ومكانتها في النظام العالمي الحديث. وكان يؤمن بأن التعليم والإعلام اللذين تديرهما الدولة كفيلاً، مع مرور الوقت، بترويض هذه الأفكار في المخيلة الشعبية؛ غير أن المشروع، في بداياته، كان قائماً بطبيعته على التوجيه من أعلى إلى أسفل.

وعلى الرغم من ذلك، احتلت تنزانيا، كما تصوّرها نيريري، موقعاً محورياً في قلب الأممية ما بعد الاستعمارية Post-colonial Internationalism الأخذة في التشكل. ويرجع ذلك، بطبيعة الحال، إلى أن تشكلت البلاد ما بعد الاستعمار لم يكن ثمرة السياسات الحكومية الرسمية وحدها. فقد برزت بوصفها فاعلاً في النظام العالمي يكتسب دلالة خاصة؛ إذ أصبحت إحدى دول المواجهة الأممية في النضال ضد نظام الفصل العنصري وحكم الأقلية البيضاء في أفريقيا الجنوبية، وأضحت من أبرز الداعمين للوحدة الأفريقية وحركة عدم الانحياز، كما غدت وجهة

"الطوبوغرافيات المزعجة" Disruptive Topographies⁽⁷⁵⁾، التي تنطوي عليها عملية بناء الجماعة السياسية في تنزانيا، وهي جماعة امتدت عبر حدود الدولة، لكنها تأسست على الاعتراف بموقع هذه الحدود في إعادة تشكيل الهويات وإتاحة إمكانات جديدة للترابط. ومن خلال فعل الاعتراف هذا، لا تسبق الذات الآخر، بل يتشكل الاثنان في الوقت نفسه، في سياق يستوعب الهشاشة وعلاقات القوة غير المتكافئة. ومن ثم، وعلى خلاف حركة *الزنوجة Negritude* أو أشكال التضامن الدولي التي تبنتها حركة الفهود السود Panthers Black⁽⁷⁶⁾، فإن الأفروعمومية عند نيريري لم تكن قائمة على العرق؛ فقد كان ينظر إليها باعتبارها مشروعاً يعترف بالقومية، وبوصفها عملية لتجاوز الانقسامات القبلية والإثنية، من دون أن يتعارض ذلك مع الهوية الأفريقية، بل على أنها منظومة من الروابط المفتوحة على الخارج. ولهذا، كان يؤكد مراراً شمولية المواطنة، أولاً في تنجانيقا ثم في تنزانيا، قائلاً، في كانون الثاني/ يناير 1964: "إن الأمر يتعلق، ببساطة، بالصدق ومحاوله الارتقاء إلى السمعة التي اكتسبناها بوصفنا بلداً يهتم بالمبادئ. وهذا الإجراء لا يتخذ من أجل ذوي البشرة السمراء أو البيضاء، بل من أجل تنجانيقا"⁽⁷⁷⁾.

لا شك في أن نيريري اضطلع بدور مهم في صياغة الجيوبوليتيكا التي حددت موقع تنزانيا وأفريقيا في النظام العالمي الناشئ بعد الاستعمار. وبوصفه شخصية ارتبطت، حتى في نظر كثير من خصومه السياسيين، برؤية أخلاقية عميقة، لم يقتصر تصوّره للنظام الجيوبوليتيكي على وصفه، بل انطوى أيضاً على دعوة من يستمعون إلى خطابه أو يقرؤون كتاباته إلى تبني الذاتية. فإلى جانب تقديمه تصوّراً بديلاً من النظام الجيوسياسي الثنائي الذي ساد خلال الحرب الباردة، طرح ذاتيةً تابعة Subaltern Subjectivity تتحدى الثنائيات التي قامت عليها جيوسياسية الحرب الباردة، والاستعمار، والعرق، والأيدولوجيا السياسية. ولا تهدف هذه الدراسة إلى تقييم سياسات نيريري، فقد

78 ينظر، على سبيل المثال:

Colin Legum & Geoffrey Mmari (eds.), *Mwalimu: The Influence of Nyerere* (Trenton, NJ: Africa World Press, 1995); David A. McDonald & Eunice Njeri Sahle (eds.), *The Legacies of Julius Nyerere: Influences on Development Discourse and Practice in Africa* (Trenton, NJ: Africa World Press, 2002).

79 حزب الاتحاد الوطني الأفريقي في تنجانيقا. وبعد الاتحاد مع زنجبار، أصبح "حزب الاتحاد الوطني الأفريقي التنزاني"، ثم اندمج لاحقاً مع "الحزب الأفرو-شيرازي" الذي كان مقره في زنجبار، ليشكل "تشارما تشا مايندوزي" Chama Cha Mapinduzi (حزب الثورة).

80 Prashad.

81 John Briggs, "Villagisation and the 1974-6 Economic Crisis in Tanzania," *The Journal of Modern African Studies*, vol. 17, no. 4 (1979), pp. 695-702.

75 Cindi Katz, "Vagabond Capitalism and the Necessity of Social Reproduction," *Antipode*, vol. 33, no. 4 (2001), pp. 709-728.

76 ينظر، على سبيل المثال:

James A. Tyner, "Defend the Ghetto: Space and the Urban Politics of the Black Panther Party," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 96, no. 1 (2006), pp. 105-118.

77 Julius K. Nyerere, "Tanganyika Citizenship (1964)," in: *Uhuru na Umoja (Freedom and Unity): A Selection from Writings and Speeches, 1952-65*, p. 259.

رؤية زعيمهم نيريري. وفي الوقت نفسه، أصبحت الجامعة منارةً استقطبت المفكرين والناشطين الراديكاليين من مختلف أنحاء العالم. وفي مقابلة أُجريت مع جيوفاني أريغي حول سنواته في جامعة دار السلام، استهل المحاور، ديفيد هارفي، الحديث بقوله إن الجامعة "بدأت كأنها جنة للتفاعلات الفكرية"، فردَّ أريغي قائلاً:

كانت فترةً بالغة الإثارة، فكرياً وسياسياً. وعندما وصلتُ إلى دار السلام عام 1966، لم تكن تنزانيا قد مضى على استقلالها سوى بضع سنوات. وكان نيريري يدعو إلى ما كان يعدّه شكلاً من أشكال الاشتراكية الأفريقية. وقد نجح في الحفاظ على مسافة متساوية من طرفي الانقسام الصيني - السوفياتي، وحافظ على علاقات جيدة جداً مع الدول الإسكندنافية. وأصبحت دار السلام قاعدةً لحركات التحرر الوطني في أفريقيا الجنوبية التي كانت تعمل في المنفى، بما في ذلك الحركات القادمة من المستعمرات البرتغالية، وروديسيا، وجنوب أفريقيا. وخلال السنوات الثلاث التي قضيتها في الجامعة، التقيتُ أشخاصاً من خلفيات متعددة، ناشطين في حركة "القوة السوداء" Black Power في الولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب باحثين ومفكرين، مثل إيمانويل فالرشتاين Immanuel Wallerstein، وديفيد أبتر David Apter، ووالتر رودني Walter Rodney، وروجر موراي Roger Murray، وسول بيتشوتو Sol Picciotto، وكاثرين هوسكنز Catherine Hoskins، وجيم ميلون Jim Mellon، الذي أصبح لاحقاً أحد مؤسسي منظمة ويذرمن Weathermen، ولويزا باسيريني Luisa Passerini، التي كانت تُجري أبحاثاً حول حركة فريليمو FRELIMO، وآخرين كثيرين، من بينهم، بالطبع، جون سول John Saul⁽⁸³⁾.

شارك الباحثون التنزانيون، إلى جانب الأكاديميين الذين وفدوا إلى جامعة دار السلام من مختلف أنحاء العالم، في نقاشات تناولت الكيفية التي يمكن من خلالها تشييد هذا النظام العالمي الجديد. وقد أكد المفكر البارز والتر رودني أن هذا المشروع ينبغي له أن ينطلق من القواعد الشعبية في المجتمعات الأفريقية، مشدداً على أن "على كل أفريقي مسؤولية أن يفهم هذا النظام ويعمل على إسقاطه"⁽⁸⁴⁾. وشكّلت الجامعة بيئةً فكرية اتسمت بدرجة استثنائية من الحيوية

لعودة الأميركيين من أصول أفريقية، ولا سيما من خلال جامعة دار السلام، التي تحولت إلى مركز للنقاش الفكري بين الأكاديميين والطلبة ذوي التوجهات الراديكالية. وهكذا، تشكلت تنزانيا، بوصفها دولة في النظام العالمي وحضوراً جيوبوليتيكياً، عبر تداخل هذه المستويات جميعها وتشابك العمليات التي صاغتها.

خامساً: المواقع الجيوبوليتيكية

شكل إعلان أروشا، ومكانة تنزانيا بوصفها إحدى دول المواجهة الأمامية في حركة تحرير أفريقيا الجنوبية، ومحاولة نيريري رسم مسار جديد للسياسة والجيوبوليتيكا من خلال التوفيق بين الأبعاد الوطنية والقارية والعالمية، مزيجاً لافتاً. وعلى الرغم من أن ملامح هذا المشروع بدأت تتصدع مع تقدم سبعينيات القرن العشرين، فإن هذه الرؤية ظلت تجتذب أفراداً من مختلف أنحاء العالم حتى ثمانينياته. فقد أصبحت تنزانيا "مغناطيساً يجذب المناهضين للاستعمار والمفكرين من مختلف أنحاء العالم"⁽⁸²⁾. وكان بعض هؤلاء من أعضاء المؤتمر الوطني الأفريقي African National Congress, ANC الفازين من الاضطهاد في أفريقيا الجنوبية، في حين جاء آخرون من أوروبا الشرقية والصين المايوية بوصفهم رفاقاً في النضال، بينما قدم آخرون من الغرب بحثاً عن بديل ممّا كانوا يشهدونه في بلدانهم. ومن المهم أن هذه الوجهة لم تُفهم بوصفها انتقلاً يرتبط بالتنمية أو سعيًا إلى تقديم العون للعالم الثالث أو للدول النامية، بل إن كثيراً من المثقفين الذين انجذبوا إلى تنزانيا رأوا فيها تجسيداً للمستقبل. فقد ساد اعتقاد بأن تحولاً جذرياً في القيادة السياسية والأيدولوجية لم يكن ممكناً فحسب، بل كان وشيكاً أيضاً، وكانت تنزانيا في قلب هذا التحول. ومن ثم، برزت مجموعة من المواقع التي مورست فيها الجيوبوليتيكا التابعة خارج نطاق الجيوبوليتيكا الرسمية للدولة التي صاغها نيريري، وأحياناً في حالة توتر معها. وشملت هذه المواقع معسكرات تدريب حركات المقاومة في أفريقيا الجنوبية، ومجتمعات الأميركيين من أصول أفريقية، والجماعات الأكاديمية الكومبوليتية، ولا سيما في جامعة دار السلام.

كانت جامعة دار السلام، الواقعة في منطقة **مليماني Mlimani**، وهي تلة تبعد نحو عشرة كيلومترات عن وسط أكبر مدن تنزانيا، أحد أبرز المواقع التي احتضنت نقاشات (جيو)سياسية مكثفة في السنوات الأولى من مرحلة ما بعد الاستعمار. فمن خلال البحث والتدريس، انخرط أعضاء هيئة التدريس والطلبة في "التلة" في استكشاف الرؤى الجيوبوليتيكية للدول الأفريقية الجديدة ومناقشتها، ولا سيما

83 Giovanni Arrighi, "The Winding Paths of Capital," Interview by David Harvey, *New Left Review*, no. 56 (March–April 2009), accessed on 25/8/2026, at: <https://acr.ps/hBy2sP4>

84 Walter Rodney, *How Europe Underdeveloped Africa* (Cape Town: Pambazuka Press, 2012 [1972]), p. 28.

خلال النصف الثاني من القرن العشرين، بل مواقع يمكن أن تنطلق منها القوى الحقيقية المحركة للتغيير. غير أن هذا التحدي غاب عن السرديات الجيوبوليتيكية لأسباب متعددة⁽⁸⁸⁾، من بينها "إخفاق" كثير من رؤى قادة ما بعد الاستعمار في بناء مجتمعات جديدة على المستوى العملي، إلى جانب الآثار التي خلفتها سياسات التكيف الهيكلي في ثمانينيات القرن العشرين. ومع ذلك، لا يزال هناك كثير مما يمكن تعلّمه من جيوبوليتيكا الكوزموبوليتيات التابعة Geopolitics of Subaltern Cosmopolitanisms، التي تُعدّ الأفروعمومية، بحسب جيلمور "مثالاً راسخاً، ولم يفقد راهنيته بأي حال من الأحوال"⁽⁸⁹⁾.

شهدت الآداب والعلوم الاجتماعية في السنوات الأخيرة اهتماماً متزايداً بأهمية الأدبيات الصادرة من الهوامش. وفيما يتعلق بأفريقيا، يرى أشيل مبمبي أن القارة استُبعدت بصورة منهجية من التنظير الاجتماعي، بحيث إن "إحدى نتائج هذا العمى تتمثل في أن السياسة والاقتصاد في أفريقيا لم يظهر في النظرية الاجتماعية إلّا بوصفهما دليلاً على نقص، في حين تحوّل خطاب العلوم السياسية واقتصاديات التنمية إلى بحث دائم عن أسباب ذلك النقص"⁽⁹⁰⁾. ومن ثم، وكما بيّن بليتش بصورة مقنعة، فإن أفريقيا، في إطار تقسيم العمل الأكاديمي، ظلت تُعامل بوصفها ميداناً لأبحاث التنمية، في حين حظيت باهتمام أقل كثيراً من جانب الحقول المعرفية الأخرى، ولا سيما الجغرافيا السياسية⁽⁹¹⁾.

وفي الوقت نفسه، وُجّهت انتقادات إلى دراسات ما بعد الاستعمار، بوصفها تنظيراً يُنتج من خلف المكاتب Armchair Theorising، ولأن ترسيخ هذا الحقل المعرفي ارتبط، إلى حد بعيد، بانتقال أكاديمي العالم الثالث إلى الإقامة والعمل في بلدان العالم الأول. غير أن الأفروعمومية، إلى جانب أشكال أخرى من الجيوسياسية التابعة التي تبلورت في إطار حركة عدم الانحياز خلال السنوات التي أعقبت الاستقلال، أسهمت في إنتاج صيغ بديلة، متجذرة في الواقع، لإعادة صياغة الفكر والممارسة السياسيين الغربيين. ويؤكد بال أهلواليا⁽⁹²⁾ أن ما بعد البنيوية تعود بجذورها إلى شمال أفريقيا، مشيراً إلى أن

88 أشار محمود ممداني أيضاً إلى أن تغرّط طبيعة الممارسة الأكاديمية في عدد من البلدان الأفريقية، نتيجة لسياسات التكيف الهيكلي، أسهم في الابتعاد عن الممارسة الأكاديمية النقدية في كثير من الأقسام الأكاديمية في شرق أفريقيا. ينظر: Mahmood Mamdani, "The Importance of Research in a University," *Pambazuka News*, no. 526 (April 2011), at: <https://acr.ps/hBy2t5F>

89 Gilmore, p. 34.

90 Achille Mbembe, *On the Postcolony* (Berkeley: University of California Press, 2001).

91 Pletsch, pp. 565-590.

92 Pal Ahluwalia, "Out of Africa: Post-Structuralism's Colonial Roots," *Postcolonial Studies*, vol. 8, no. 2 (2005), pp. 137-154.

والإلهام للمشاركين فيها. ويرى عدد من الباحثين أن رؤية رودني كانت رؤية استثنائية، ولا سيما لأنه تجرّأ على القول بالإيمان بأن هذا التحول الجذري الهائل يجب أن ينطلق من الأفارقة وغيرهم من الشعوب الواقعة في قاع منظومة الاستغلال والهيمنة⁽⁸⁵⁾. وكما أوضح عيسى شيفجي، الذي كان أحد طلاب رودني وأصبح لاحقاً أحد أبرز الباحثين النقديين في تنزانيا: "لقد كنا نفكر على مستوى عالمي. وكنا نفكر بمنطق الحقبة التاريخية Epochs، لا بمنطق الغد، ولا بمنطق السنوات، ولا حتى بمنطق العقود، بل بمنطق الحقبة التاريخية"⁽⁸⁶⁾.

استجابت المعرفة التي أنتجت في "التلة" للتحدي الجيوبوليتيكي الذي طرحه نيري. فكما كانت الجيوبوليتيكا التابعة عنده تتحدى الحدود الدولية القائمة، كانت النقاشات الفكرية في الجامعة تتحدى الحدود التقليدية بين التخصصات الأكاديمية. ولذلك، جرى التأكيد على أهمية الدراسات البينية Interdisciplinary Studies، انطلاقاً من قناعة مفادها أن أعضاء الجامعة، سواء كانوا يدرسون القانون أو العلوم الاجتماعية أو العلوم الطبيعية، ينبغي أن يتلقوا تعليماً واسع الأفق وذا نزعة نقدية. وفي هذا السياق، يقول شيفجي:

إن ما ميّز تلك المرحلة، في تقديري، هو الروح النقدية. فلم يكن ثمة شيء يُسلّم به أو يُؤخذ على محمل البداة؛ بل كان كل شيء موضعاً للنقد والتقييم. وكان المثقف، آنذاك، ينظر إلى نفسه بوصفه نافذاً اجتماعياً، لا باحثاً منشغلاً ببناء مسيرته المهنية، ولا متأملاً أو مفكراً منعزلاً. وإذا أردت أن أوجز روح تلك المرحلة في عبارة واحدة، فهي: "أشكك في كل شيء"، لا بروح المتشكك العدمي، بل بروح الناقد، [...] لا بوصفه فيلسوفاً متأملاً فحسب، بل بوصفه فاعلاً في التاريخ⁽⁸⁷⁾.

استنتاجات

سعت هذه الدراسة إلى إعادة النظر في التدخلات السياسية التي اضطلعت بها تنزانيا، بوصفها دولةً جديدة في مرحلة ما بعد الاستعمار خلال ستينيات القرن العشرين وسبعينياته، وباعتبارها شكلاً من أشكال الجيوبوليتيكا النقدية. فقد شهدت تلك المرحلة حراكاً سياسياً وفكرياً واسعاً في عدد من البلدان الأفريقية، وكان يُنظر إلى كثير من هذه المجتمعات، لا بوصفها هوامش في عملية إعادة تشكيل العالم

85 Vincent Harding, Robert Hill & William Strickland, "Introduction 1981," in: Walter Rodney, *How Europe Underdeveloped Africa* (Cape Town: Pambazuka Press, 2012), p. xvii.

86 Shivji, "What Is Left of the Left Intellectual at 'the Hill?'" p. 204.

87 Ibid., p. 211.

أفريقي حديث، وفي المقابل، تأثر كثير من الأكاديميين الغربيين، وكذلك النقاشات التي حملوها معهم عند عودتهم إلى بلدانهم، بعمق بالتجربة التنزانية، أو أنها خضعت لعملية "تنزنة" في طابعها Tanzanian-ized.

لا تمثل هذه السرديات نماذج للأمية تنطلق "من الأسفل" أو "من الخارج"، بل هي جغرافيات أُعيدَ تشكيلها انطلاقًا من الهوامش، ومن أشخاص تشابكت تجاربهم، بطرائق مختلفة، مع شبكات الهيمنة والمقاومة؛ أشخاص لا يمكن وصفهم بأنهم يقفون في الأسفل أو في الخارج، كما لا يمكن، في الوقت نفسه، اعتبارهم فاعلين أقوى أو مركزيين أو مهمين. ومع ذلك، فإن هذه السرديات تتحدى التصورات السائدة التي تفترض أن التابع يظل دائمًا أسير المكان، وأنه يظل كيانًا خاصًا و"آخر" في مواجهة النظريات الغربية الرحالة Travelling Theories. ومن ثم، فإنها تقدّم نقدًا مهمًا للسرديات المتعلقة بالأمية، والجيوبوليتيكا، والكوزموبوليتية، التي تنظر إلى التابع، وإلى الفعل السياسي المنبثق منه، بوصفهما مقيدين بالمكان⁽⁹⁷⁾. ومن ناحية أخرى، فإن الروابط العابرة للإقليم التي نسجت تنزانيا لا تعود، بطبيعة الحال، إلى الحقبة الاستعمارية الأوروبية وحدها. فكما تشهد على ذلك الإسهامات العربية والهندية والبانتوية في اللغة السواحلية، فإن المنطقة التي تُعرف اليوم بتنزانيا ظلت، منذ قرون، جزءًا من شبكات التجارة والسياسة التي ربطت ثقافات "الساحل السواحلي" في شرق أفريقيا بدول الخليج والهند، إلى جانب الروابط التي نشأت لاحقًا مع ألمانيا وبريطانيا في الحقبة الاستعمارية⁽⁹⁸⁾.

ومن ثم، فإن الدروس المستفادة من تجربة تنزانيا لا ينبغي أن تقتصر أهميتها على المهتمين بالشأن الأفريقي. فلارسن⁽⁹⁹⁾ يؤكد، في دعوته إلى "جيوبوليتيكا للدول الصغيرة"، ضرورة فهم تعددية الرؤى الجيوبوليتيكية، انطلاقًا من حقيقة أن جيوبوليتيكا الدول المختلفة متشابكة ومتراصة بطبيعتها. واستنادًا إلى ما عُرف بـ "فضيحة الرسوم الكاريكاتورية للنبي محمد"، يؤكد لارسن أن الدمارك ليست دولة هامشية، وأن هذه الحادثة أبرزت ذلك بوضوح؛ إذ إنها انتقلت من "صورته الذاتية المعتادة بوصفها نموذجًا للفضيلة في السياسة العالمية، دولة صغيرة ولكنها قوة أخلاقية عظمى، [إلى وضع] أصبح فيه الدماركيون هم أيضًا يطرحون السؤال: 'لماذا يكرهوننا؟'"⁽¹⁰⁰⁾.

عددًا من أبرز مفكرائها، مثل لوي ألتوسير وجاك دريدا، وُلدوا في الجزائر "وقضوا فيها سنواتهم التكوينية"، في حين أمضى ميشيل فوكو "فترة مهمة في تونس"⁽⁹³⁾. ويتتبع أهلواليا أثر هذه البيئة في تشكّل الفكر ما بعد النيوي، ويرى أن من الممكن إجراء تحليل مماثل لتأثير السياق التنزاني في مرحلة ما بعد الاستعمار في التكوين الفكري لمفكرين مثل رودني، وجون سول، وجيوفاني أريغي، وتيرنس رينجر⁽⁹⁴⁾. وتتحدى هذه الجينيات الفكرية السرديات ذات المركزية الأوروبية التي تفسر نشأة مختلف أشكال الفكر السياسي الحديث. وفي هذا السياق، يواصل روبي شيليام القول:

تجلى المركزية الأوروبية بأوضح صورها في الافتراض الضمني القائل إننا لسنا في حاجة إلى الانتقال إلى المجال الفكري للعالم غير الغربي، أو إلى مساءلة أرشيفه الفكري، من أجل إعادة التفكير في التجربة الحديثة. فالمسألة لا تقتصر على إضافة المفكر غير الغربي إلى الأرشيف القائم للأكاديمية الغربية، بل إن الانخراط في فكره قد يكون ضروريًا للكشف عن حدود هذه الأكاديمية نفسها، ومن ثم فتح المجال أمام استكشافات أشد عمقًا لكيفية تشكّل النظام العالمي الحديث⁽⁹⁵⁾.

في بلدان مثل تنزانيا، ولا سيما في فضاءات التنظير السياسي النشط، كما كان الحال في جامعة دار السلام خلال سبعينيات القرن العشرين، كان يُنظر إلى "الهوامش"، ولو فترة وجيزة، بوصفها تحمل في طياتها "المركز" المستقبلي. ولذلك، انجذب إلى أفريقيا أشخاص من مختلف أنحاء القارة، فضلًا عن القوتين العظميين الغربية والشرقية. ومن ثم، قدّمت تنزانيا ما بعد الاستعمار، خلال فترة من الزمن، تجسيدًا عمليًا لما وصفه تشاكرابارتي بـ "أقلمة أوروبا" Provincializing Europe⁽⁹⁶⁾، إذ انتقل إليها مفكرون وشخصيات سياسية وفاعلون في حركات المقاومة، من الشمال والجنوب على السواء، للمشاركة في تجربة نيري والتعلم منها. ومن ثم، لم تكن المسألة انتقال المعرفة الغربية إلى تنزانيا وهيمنتها على النقاشات الفكرية فحسب. فقد أعاد نيري صياغة عدد من المفاهيم السياسية الغربية، ولا سيما مفهوم القومية، في محاولة لصوغ مستقبل

93 Robbie Shilliam, "The Enigmatic Figure of the Non-Western Thinker in International Relations," *AntePodium: Online Journal of World Affairs* (2009), accessed on 25/8/2026, at: <https://acr.ps/hBy2sic>

94 في كلتا الحالتين، يغلب الرجال بصورة طاغية على قائمة الشخصيات، ما يجعل البحث النسوي في تاريخ هذه المرحلة ذا أهمية خاصة.

95 Shilliam.

96 Dipesh Chakrabarty, *Provincializing Europe: Postcolonial Thought and Historical Difference* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2000).

المقصود بذلك نزع المركزية عن أوروبا والتعامل معها بوصفها تجربة تاريخية محدودة بسياقها، لا النموذج الكوني الذي ينبغي أن تقاس عليه تجارب تاريخية أخرى. (المترجمة)

97 Featherstone, *Solidarity*.

98 Abdul Sheriff, *Dhow Cultures of the Indian Ocean: Cosmopolitanism, Commerce and Islam* (London: C. Hurst & Co., 2010).

99 Larsen.

100 Ibid., p. 245.

أوسع إشراكاً يبدو أمراً لا غنى عنه⁽¹⁰⁵⁾. ومن ثم، فإن إعادة النظر في المحاولات التي سعت إلى تخيل مستقبل جيوبوليتيكي جماعي، كتلك التي طرحتها الأفروعمومية، تظل ذات أهمية لا غنى عنها.

ويثير ذلك تساؤلاً حول ما يمكن أن نتعلمه من الظروف التي أتاحت ظهور تلك التدخلات النقدية في تنزانيا ما بعد الاستعمار، والكيفية التي يمكن بها الاستفادة من هذه التجربة في السعي إلى إعادة تهيئة الظروف التي أوجدت ذلك القدر من التفاؤل والأمل. وقد شدّد براشاد على أهمية مثل هذه الرؤى، معبراً في الوقت نفسه عن تشاؤمه - وربما كان تشاؤماً مفراطاً - إزاء مستقبل يفتقر إليها، إذ يقول:

لقد كان أفول العالم الثالث كارثياً، ولا يزال الناس في مختلف أنحاء القارات الثلاث يحلمون بعالم أفضل، وينخرط كثير منهم في حركات اجتماعية أو أحزاب سياسية. ولتطلعاتهم صوتٌ محلي، غير أن آمالهم وأحلامهم، خارج ذلك الإطار، تبقى مبهمة⁽¹⁰⁶⁾.

إن تصور العالم الثالث، كما عرضه براشاد، وكما تجلّى في كتابات نيري، وسعى إلى تجسيده من خلال سياساته، وعاشه أولئك الذين درسوا وعملوا في أماكن مثل جامعة دار السلام، يقدم شكلاً من أشكال الذاتية ما بعد الاستعمارية، تُعاد فيه صياغة الذوات من خلال الاعتراف بالهشاشة المشتركة، وبالرغبة المشتركة في تحدي هذا الواقع، بل في تغييره، بدلاً من أن تقوم هذه الذاتية على هوية تتأسس على إقصاء الغيرية.

يرى وايت، في مناقشته للجيوبوليتيكا في غانا في عهد نكروما، أن السردية التي تقوم على ثنائية متعارضة بين حادثة الحرب الباردة والمجتمع الأفريقي الأصلي هي سردية زائفة؛ إذ كانت غانا، في الواقع، "تقع عند تقاطع مسارات متعددة للحدثة"⁽¹⁰⁷⁾، وكانت رؤية نكروما رؤيةً حداثية، غير أن السياق الذي وجد نفسه فيه أتاح له مسارات متعددة للمضي قدماً، ووضع في موقع "التكيف الخلاق"، الذي يصفه غوانكار بأنه "الموضع الذي يصنع فيه شعبٌ ما حادثه بنفسه، بدلاً من أن تصنعها أيدي قوى أجنبية وإمبريالية"⁽¹⁰⁸⁾. وقد مثّلت الرؤية الجيوبوليتيكية البديلة التي طرحتها حركة عدم الانحياز للتنمية إحدى هذه الحداثيات، إذ رفضت، عن وعي، الرؤى المستقبلية الحداثية التي بشرت بها الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. كما

وكما أن حالة "الدولة الصغيرة" Small Statehood لا تشير ببساطة إلى موقع جغرافي أو سياسي بعينه، فإن مفهوم "التابع" لا ينبغي له أن يُختزل في أمكنة محددة. بل يمكن فهم التابع بوصفه "يقع، في الوقت نفسه، خارج (أي خارجياً عن) تشكيل اجتماعي ومكاني، وعلى هوامشه (مع بقائه داخله)، وبالمثل، بوصفه منفصلاً عن السلطة، وفي الوقت نفسه نتاجاً لها"⁽¹⁰¹⁾. ويرى لارسن أن القوة التي يمكن الدول الهامشية أن تستند إليها تتمثل في السلطة الأخلاقية، وهي القوة التي طبعت إلى حد بعيد الدور الذي اضطلعت به تنزانيا في مرحلة ما بعد الاستعمار، ولا سيما في عهد نيري. غير أن مبيمي⁽¹⁰²⁾ يوضح أن التحولات التي فرضتها سياسات التكيف الهيكلي أسهمت، تدريجياً، في تقويض سلطة قادة العالم الثالث ذوي الرؤى المستقبلية، مثل نيري، وذلك من خلال تدمير "المركّزات الاقتصادية للسلطة والنظام السياسيين في سبعينيات القرن العشرين، أعقبتها انهيار قيمة العملات المحلية في ثمانينياته". كما أن تغلغل الجهات الخارجية في الاقتصادات الوطنية، عبر تقديم المساعدات، والسعي إلى جذب الاستثمارات الدولية، والنفوذ الذي تمارسه المنظمات الدولية الخاضعة لهيمنة الغرب، كلها عوامل أسهمت في تقويض سيادة دول الجنوب، ورسخت في الوقت نفسه محدودية السيادة المتاحة لها⁽¹⁰³⁾. ويذهب أغنيو⁽¹⁰⁴⁾ إلى أن هذه الظاهرة لا تقتصر على دول الجنوب، بل يرى أن كثيراً من الدول باتت تمتلك قدرة أقل كثيراً على التحكم في مساراتها ومصائرهما مما تفترضه النماذج التقليدية للدولة.

ويشير ذلك إلى أن هذه قد تكون اللحظة التي تستدعي، أكثر من أي وقت مضى، مخيلة جيوبوليتيكية أشد طموحاً. فسواء تعلق الأمر بالتحديات التي تفرضها الاقتصادات، والتقنيات، والتهديدات البيولوجية التي لا تعترف بحدود الدول، أو بالجيوبوليتيكا المرتبطة بتغير المناخ في عصر "الأنثروبوسين" Anthropocene، فإن الانتقال من تصور للجيوبوليتيكا يتمحور حول المصالح الفردية للدول إلى رؤية

101 Daniel Clayton, "Subaltern Space," in: John A. Agnew & David N. Livingstone (eds.), *The SAGE Handbook of Geographical Knowledge* (London: SAGE, 2011), p. 247.

102 Achille Mbembe, "Necropolitics," Libby Meintjes (trans.), *Public Culture*, vol. 15, no. 1 (2003), p. 33.

103 Joanne P. Sharp, "Africa's Colonial Present: Development, Violence, and Postcolonial Security," in: Graham Huggan (ed.), *The Oxford Handbook of Postcolonial Studies* (Oxford: Oxford University Press, 2013), pp. 235-252.

104 John Agnew, "Sovereignty Regimes: Territoriality and State Authority in Contemporary World Politics," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 95, no. 2 (2005), pp. 437-461.

105 Simon Dalby, "Environmental Geopolitics in the Twenty-First Century," Paper Presented at the *Rethinking Climate Change, Conflict and Security* Conference, University of Sussex, 18-19/10/2012.

106 Prashad, p. xviii.

107 Evan White, "Kwame Nkrumah: Cold War Modernity, Pan-African Ideology and the Geopolitics of Development," *Geopolitics*, vol. 8, no. 2 (2003), p. 110.

108 Ibid.

المراجع

- Agnew, John. "Sovereignty Regimes: Territoriality and State Authority in Contemporary World Politics." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 95, no. 2 (2005).
- _____. "Know-Where: Geographies of Knowledge of World Politics." *International Political Sociology*. vol. 1 (2007).
- Agnew, John A. & David N. Livingstone (eds.). *The SAGE Handbook of Geographical Knowledge*. London: SAGE, 2011.
- Ahluwalia, Pal. "Out of Africa: Post-Structuralism's Colonial Roots." *Postcolonial Studies*. vol. 8, no. 2 (2005).
- Anderson, Benedict. *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism*. London: Verso, 1983.
- Arrighi, Giovanni. "The Winding Paths of Capital." Interview by David Harvey. *New Left Review*. no. 56 (2009). at: <https://acr.ps/hBy2sP4>
- Ayoob, Mohammed. "Inequality and Theorizing in International Relations: The Case for Subaltern Realism." *International Studies Review*. vol. 4, no. 3 (2002).
- _____. "Making Sense of Global Tensions: Dominant and Subaltern Conceptions of Order and Justice in the International System." *International Studies*. vol. 47, no. 2-4 (2010).
- Bhabha, Homi K. *The Location of Culture*. London: Routledge, 1994.
- Bilgin, Pinar. "Thinking Past 'Western' IR?" *Third World Quarterly*. vol. 29, no. 1 (2008).
- Briggs, John. "Villagisation and the 1974-6 Economic Crisis in Tanzania." *The Journal of Modern African Studies*. vol. 17, no. 4 (1979).

أنها جسدت جيوپوليتيكا أخلاقية تقوم على الترابط، لا على ممارسة السيادة من خلال الإقصاء. وقد تشكّلت الجيوپوليتيكا التنزانية (ولا تزال، في بعض جوانبها، كذلك)⁽¹⁰⁹⁾ بصورة جدلية، انطلاقاً من دور البلاد في تعزيز تصورات متعددة للمستقبل: هوية أفريقية، وعدم الانحياز في سياق الحرب الباردة، ورؤية وحدوية أفريقية، وفضاء يحتضن الفكر الراديكالي والبديل للمفكرين والناشطين من مختلف أنحاء العالم. ويظل العنصر الأهم في هذا كله هو الاعتراف بالهشاشة المشتركة، وبالرغبة في تحدي هذا الواقع، بل في تغييره، بدلاً من تأسيس الهوية على إقصاء الغيرية. وقد أدرك نيري بوضوح هذا الاعتماد المتبادل على المستوى العالمي. ففي خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة عقب استقلال تنجانيقا عن بريطانيا، قال: "إنني أهني البريطانيين على اتخاذهم خطوة أخرى نحو استكمال استقلالهم وحريتهم؛ لأنني أؤمن بأن أي دولة لا تكون حرة حرة كاملة ما دامت تُبقي شعباً أخرى في حالة من انعدام الحرية"⁽¹¹⁰⁾.

شكر وتقدير

أود أن أشكر فيت باخمان Veit Bachmann وزملاءه في معهد الجغرافيا البشرية بجامعة غوته في فرانكفورت، على دعوتهم لي لتقديم هذه الورقة في مؤتمر "إضفاء البعد المكاني على الـ(جيو)سياسي"، الذي نظّمته لجنة الجغرافيا السياسية التابعة للاتحاد الجغرافي الدولي International Geographical Union, IGU، في آب/ أغسطس 2012. وأشكر المناقشين وسائر المشاركين على تفاعلهم مع الورقة. وقد استفادت الورقة أيضاً استفادة كبيرة من مختلف المناقشات مع أعضاء مجموعة أبحاث الجغرافيا البشرية في غلاسكو، ولا سيما جون بريغز John Briggs، وديف فيذرستون Dave Featherstone، ورونان باديسون Ronan Paddison، وإيان شو Ian Shaw، فضلاً عن الملاحظات القيّمة والسخية التي قدّمها جون أغنيو John Agnew، وسامون دالبي Simon Dalby، وسارا كوهمان Sara Koopman، ودورين ماسي Doreen Massey، وأليك مورفي Alec Murphy، وجوليان ستينمانز Julian Stenmanns. وأتقدم بالشكر إلى فيل شتاينبرغ Phil Steinberg، وجيمس سيدواي James Sidaway، ومحرري دورية الجغرافيا السياسية Political Geography. وتستند هذه الدراسة إلى بحث أنجز في إطار زمالة منتصف المسار المهني التي مولها مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية (0039-27-RES-070).

109 ينظر:

Sharp, "A Subaltern Critical Geopolitics of the 'War on Terror'," pp. 297-305.

110 Julius K. Nyerere, "Independence Address to the United Nations (1961)," in: *Uhuru na Umoja (Freedom and Unity): A Selection from Writings and Speeches, 1952-65*, p. 145.

- _____. *Solidarity: Hidden Histories and Geographies of Internationalism*. London: Zed Books, 2012.
- Ferguson, Russell et al. (eds.). *Out There: Marginalization and Contemporary Cultures*. Cambridge, MA: MIT Press, 1990.
- Guillaume, Xavier. "Unveiling the 'International': Process, Identity and Alterity." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 35, no. 3 (2007).
- Hale, Charles R. (ed.). *Engaging Contradictions: Theory, Politics, and Methods of Activist Scholarship*. Berkeley: University of California Press, 2008.
- Harker, Christopher. "Geopolitics and Family in Palestine." *Geoforum*. vol. 42, no. 3 (2011).
- Huggan, Graham (ed.). *The Oxford Handbook of Postcolonial Studies*. Oxford: Oxford University Press, 2013.
- Jazeel, Tariq. "Spatializing Difference beyond Cosmopolitanism: Rethinking Planetary Futures." *Theory, Culture & Society*. vol. 28, no. 5 (2011).
- Kariuki, James N. *Tanzania's Human Revolution*. University Park, PA: The Pennsylvania State University Press, 1979.
- Katz, Cindi. "Vagabond Capitalism and the Necessity of Social Reproduction." *Antipode*. vol. 33, no. 4 (2001).
- Kearns, Gerry. "Progressive Geopolitics." *Geography Compass*. vol. 2, no. 5 (2008).
- Koopman, Sara. "Alter-Geopolitics: Other Securities Are Happening." *Geoforum*. vol. 42, no. 3 (2011).
- Legum, Colin & Geoffrey Mmari (eds.). *Mwalimu: The Influence of Nyerere*. Trenton, NJ: Africa World Press, 1995.
- Mbembe, Achille. *On the Postcolony*. Berkeley: University of California Press, 2001.
- Bunting, Ikaweba. "The Heart of Africa: Interview with Julius Nyerere on Anti-Colonialism." *New Internationalist*. no. 309 (1999).
- Butler, Judith. *Precarious Life: The Powers of Mourning and Violence*. London: Verso, 2004.
- Chakrabarty, Dipesh. "Provincializing Europe: Postcoloniality and the Critique of History." *Cultural Studies*. vol. 6, no. 3 (1992).
- _____. *Provincializing Europe: Postcolonial Thought and Historical Difference*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2000.
- Chatterjee, Partha. *Nationalist Thought and the Colonial World: A Derivative Discourse?* Minneapolis: University of Minnesota Press, 1986.
- Childs, Peter & R. J. Patrick Williams. *An Introduction to Post-Colonial Theory*. London: Prentice Hall/Harvester Wheatsheaf, 1997.
- Dalby, Simon. "Recontextualising Violence, Power and Nature: The Next Twenty Years of Critical Geopolitics?" *Political Geography*. vol. 29, no. 5 (2010).
- _____. "Environmental Geopolitics in the Twenty-First Century." Paper Presented at the Rethinking Climate Change, Conflict and Security Conference, University of Sussex, 2012.
- Darby, Phillip. "Pursuing the Political: A Postcolonial Rethinking of International Relations." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 33, no. 1 (2004).
- Fanon, Frantz. *The Wretched of the Earth*. Constance Farrington (trans.). New York: Grove Press, 1963.
- _____. *Black Skin, White Masks*. Charles Lam Markmann (trans.). London: Pluto Press, 1986.
- Featherstone, David. "The Spatial Politics of the Past Unbound: Transnational Networks and the Making of Political Identities." *Global Networks*. vol. 7, no. 4 (2007).

- American Foreign Policy." *Political Geography*. vol. 11, no. 2 (1992).
- Ó Tuathail, Gearóid, Simon Dalby & Paul Routledge (eds.). *The Geopolitics Reader*. London: Routledge, 1998.
- Painter, Joe & Alex Jeffrey. *Political Geography: An Introduction to Space and Power*. London: SAGE, 2009.
- Perry, Peter J. "Editorial Comment: Political Geography Quarterly: A Content (but Discontented) Review." *Political Geography Quarterly*. vol. 6, no. 1 (1987).
- Pletsch, Carl E. "The Three Worlds, or the Division of Social Scientific Labor, Circa 1950–1975." *Comparative Studies in Society and History*. vol. 23, no. 4 (1981).
- Power, Marcus. "Geopolitics and 'Development': An Introduction." *Geopolitics*. vol. 15, no. 3 (2010).
- Prashad, Vijay. *The Darker Nations: A People's History of the Third World*. New York: The New Press, 2007.
- Robinson, Jenny. "Postcolonialising Geography: Tactics and Pitfalls." *Singapore Journal of Tropical Geography*. vol. 24, no. 3 (2003).
- Rodney, Walter. *How Europe Underdeveloped Africa*. Cape Town: Pambazuka Press, 2012.
- Sharp, Joanne P. "A Subaltern Critical Geopolitics of the 'War on Terror': Postcolonial Security in Tanzania." *Geoforum*. vol. 42, no. 3 (2011).
- _____. "Situating Progressive Geopolitics: Culture, Politics and Language." *Political Geography*. vol. 30, no. 1 (2011).
- _____. "Subaltern Geopolitics: Introduction." *Geoforum*. vol. 42, no. 3 (2011).
- _____. "Geopolitics at the Margins? Reconsidering Genealogies of Critical Geopolitics." *Political Geography*. vol. 37 (2013).
- _____. "Necropolitics." Libby Meintjes (trans.). *Public Culture*. vol. 15, no. 1 (2003).
- McDonald, David A. & Eunice Njeri Sahle (eds.). *The Legacies of Julius Nyerere: Influences on Development Discourse and Practice in Africa*. Trenton, NJ: Africa World Press, 2002.
- Mignolo, Walter D. "The Geopolitics of Knowledge and the Colonial Difference." *The South Atlantic Quarterly*. vol. 101, no. 1 (2002).
- Mitchell, Katharyne. "Geographies of Identity: The Intimate Cosmopolitan." *Progress in Human Geography*. vol. 31, no. 5 (2007).
- Moisio, Sami et al. "Interventions in Nordic Political Geographies." *Political Geography*. vol. 30, no. 5 (2011).
- Moore, Henrietta L. & Todd Sanders (eds.). *Magical Interpretations, Material Realities: Modernity, Witchcraft and the Occult in Postcolonial Africa*. London: Routledge, 2001.
- Mwakikagile, Godfrey. *The Union of Tanganyika and Zanzibar: Product of the Cold War?* Pretoria: New Africa Press, 2008.
- Mytton, Graham. *Mass Communication in Africa*. London: Edward Arnold, 1983.
- Nyerere, Julius K. (ed.). *Uhuru na Umoja (Freedom and Unity): A Selection from Writings and Speeches, 1952–65*. Dar es Salaam: Oxford University Press, 1967.
- _____. (ed.). *Man and Development*. Nairobi: Oxford University Press, 1974.
- _____. "Are Universal Social Standards Possible?" *Development in Practice*. vol. 9, no. 5 (1999).
- _____. *Freedom, Non-Alignment and South-South Cooperation*. Oxford: Oxford University Press, 2011.
- Ó Tuathail, Gearóid & John Agnew. "Geopolitics and Discourse: Practical Geopolitical Reasoning in

- White, Evan. "Kwame Nkrumah: Cold War Modernity, Pan-African Ideology and the Geopolitics of Development." *Geopolitics*. vol. 8, no. 2 (2003).
- Woon, Chih Yuan. "Undoing Violence, Unbounding Precarity: Beyond the Frames of Terror in the Philippines." *Geoforum*. vol. 42, no. 3 (2011).
- Young, Crawford. "The End of the Post-Colonial State in Africa? Reflections on Changing African Political Dynamics." *African Affairs*. vol. 103, no. 410 (2004).
- Sharp, Joanne P. et al. (eds.). *Entanglements of Power: Geographies of Domination/Resistance*. London: Routledge, 2000.
- Sheriff, Abdul. *Dhow Cultures of the Indian Ocean: Cosmopolitanism, Commerce and Islam*. London: C. Hurst & Co., 2010.
- Shivji, Issa G. (ed.). *Intellectuals at the Hill: Essays and Talks 1969-1993*. Dar es Salaam: Dar es Salaam University Press, 1993.
- Sidaway, James D. & David Simon. "Geopolitical Transition and State Formation: The Changing Political Geographies of Angola, Mozambique and Namibia." *Journal of Southern African Studies*. vol. 19, no. 1 (1993).
- Slater, David. "Post-Colonial Questions for Global Times." *Review of International Political Economy*. vol. 5, no. 4 (1998).
- _____. *Geopolitics and the Post-Colonial: Rethinking North-South Relations*. Oxford: Blackwell, 2004.
- Smith, Ron. "Graduated Incarceration: The Israeli Occupation in Subaltern Geopolitical Perspective." *Geoforum*. vol. 42, no. 3 (2011).
- Steinberg, Philip E. & Thomas E. Chapman. "Key West's Conch Republic: Building Sovereignities of Connection." *Political Geography*. vol. 28, no. 5 (2009).
- Tickner, Arlene B. "Seeing IR Differently: Notes from the Third World." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 32, no. 2 (2003).
- Tyner, James A. "Territoriality, Social Justice and Gendered Revolutions in the Speeches of Malcolm X." *Transactions of the Institute of British Geographers*. vol. 29 (2004).
- _____. "'Defend the Ghetto': Space and the Urban Politics of the Black Panther Party." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 96, no. 1 (2006).